قصة الدواب

السؤال : **ما قصة الدواب التى قال عنها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : إنها تسبح للَّه أكثر من تسبيح أصحابها ؟**

الجواب : وجد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قومًا قد أوقفوا دوابهم ، وظلوا يتحدثون وهم يركبونها ، والدواب واقفة بهم ، قال لهم : أما تجعلونها تمشي بكم ، أما تدعونها وتتحدثون ، لا تجعلوها كراسي تجلسون عليها ، إنها تسبح اللَّه أكثر منكم . وهذا يعنى ألا يستذل الحيوان بجعله كرسيًا(١) .

ومعلوم أن الكون كله بأجناس وجوده مسبح للحق سبحانه . . والذى يفىء اللَّه عليه ببعض فضله يسمع ذلك التسبيح ، ويفهم لغة ذلك التسبيح(٢) .

---

(١) روى أحمد فى المسند [٣/ ٤٤٠] عن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « اركبوا هذه الدواب مسلمة ولتدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى » وقال الأرناؤوط : اسناده حسن وفى رواية [٣/ ٤٤١] « لا تتخذوا الدواب كراسى فرب مركوبة عليها هي أكثر ذكرا لله تعالى من راكبها » .

(٢) قال اللَّه تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء] .

قال القرطبى فى التفسير ، قوله تعالى : « تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن » أعاد على السماوات والأرض ضمير من يعقل ، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح . وقوله : ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ يريد الملائكة والإنس والجن ، ثم عمّ بعد ذلك الأشياء كلها فى قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ . واختلف فى هذا العموم ، هل هو مخصص أم لا ؛ فقالت فرقة : ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة ، وكل محدث يشهد على نفسه بأن اللَّه عز وجل خالق قادر . وقالت طائفة : هذا التسبيح حقيقة وكل شىء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمرا مفهوما ، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه . وأجيبوا بأن المراد بقوله : ﴿ لَّا =

= ﴿ نَفْقَهُونَ ﴾ الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى فى الأشياء . وقالت فرقة : قوله : ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ عموم ، ومعناه الخصوص فى كل حي ونام ، وليس ذلك فى الجمادات .

ومن هذا قول عكرمة : الشجرة تسبح والاسطوان لا يسبح .

وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما فى طعام وقد قدم الخوان : أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد؟ فقال : قد كان يسبح مرة ؛ يريد أن الشجرة فى زمن ثمرها واعتدالها كانت تسبح ، وأما الآن فقد صار خوانا مدهونا .

قلت : ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول » قال : فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال : « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » . فقوله عليه الصلاة والسلام . « ما لم ييبسا » إشارة إلى أنهما ما داما رطبين يسبحان ، فإذا يبسا صارا جمادا . والله اعلم .

وفي مسند أبي داود الطيالسى : فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال : « لعله أن يهون عليهما العذاب ما دام فيهما من بلوتهما شيء » .

قال علماؤنا : ويستفاد من هذا غرس ، الأشجار وقراءة القرآن على القبور ، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن . وقد بينا هذا المعنى فى كتاب التذكرة بيانا شافيا ، وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يهدى إليه . والحمد لله على ذلك .

وعلى التأويل الثانى لا يحتاج إلى ذلك ؛ فإن كل شيء من الجماد وغيره يسبح .

قلت : ويستدل لهذا التأويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ [ص] وقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] - على قول مجاهد - .

وقوله : ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ [مريم : ٩٠] .

وذكر ابن المبارك فى « دقائقه » أخبرنا مسعر عن عبد الله بن واصل عن عوف بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إن الجبل يقول للجبل : يا فلان ، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فإن قال نعم سر به . ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ الآية . قال : أفتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير .

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما من صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضا . يا جاراه؛ هل مر بك اليوم عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك ؟ فمن قائلة لا ، ومن قائلة نعم ، فإذا قالت نعم رأت لها بذلك فضلا عليها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » . رواه ابن ماجه فى سننه ، ومالك=

= في موطئه من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه .
وخرج البخارى عن عبد الله رضى الله عنه قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .
وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه .
وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن » .
قيل : إنه الحجر الأسود ، والله اعلم .
الأخبار فى هذا المعنى كثيرة ؛ وقد أتينا على جملة منها فى اللمع اللؤلئية فى شرح العشرينيات النبوية للفاداري رحمه الله ، وخبر الجذع أيضا مشهور فى هذا الباب خرجه البخارى فى موضع من كتابه .
وإذا ثبت ذلك فى جماد واحد جاز فى جميع الجمادات ، ولا استحالة فى شىء من ذلك ؛ فكل شىء يسبح للعموم . وكذا قال النخعي وغيره : هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه حتى صرير الباب . واحتجوا بالأخبار التى ذكرنا .
وقيل : تسبيح الجمادات أنها تدعو الناظر إليها إلى أن يقول : سبحان الله ! لعدم الإدراك منها . وقال الشاعر :

تُلقى بتسبيحة من حيث ما انصرفت وتستقر حشا الرائى بترعاد

أي يقول من رآها : سبحان خالقها . فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك لو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود ، وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح كما ذكرنا . وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شىء فالقول به أولى . والله اعلم .
وقرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسائى وخلف ﴿ تَفْقَهُونَ ﴾ بالتاء لتأنيث الفاعل . الباقون بالياء ، واختاره أبو عبيد ، قال : للحائل بين الفعل والتأنيث .
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا ﴾ عن ذنوب عباده فى الدنيا . ﴿ غَفُورًا ﴾ للمؤمنين فى الآخرة .

obeikandl.com

تكذيب الكفار بيوم البعث

السؤال : قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ فلماذا جاءت كلمة « رفات » بعد كلمة « عظام » رغم أن الرُّفات هو أصغر من العظام فما تفسيركم لذلك ؟

الجواب : إنهم كفروا بآيات القرآن التى تحمل منهج الله إلى الناس ونتيجة كفرهم هذا أنهم كذبوا بالبعث : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٤٩] .

فهذا تكذيب بالخالق ، وتكذيب بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغ ، وتكذيب بآيات الأحكام .

لأن الذى جاءهم بآيات الأحكام أخبرهم أنهم سيبعثون ليحاسبوا على ما قدموا من عمل سواء كان خيرًا أم شرا . ومن باطن هذا التكذيب جاء تكذيبهم بالبعث .

وجاءت كلمة رفات بعد كلمة عظام لأن الرفات هي الفتات ، والفتات هي أثر الشيء الجاف إذا تكسر . وهذا ما يحدث للإنسان بعد موته ، حيث يتبخر الماء ، وبعد ذلك تتحلل عناصره ولا يبقى منه إلا العظام ، ومع طول الزمن تتفتت العظام أى : تصير رفاتًا . فالكفار أنكروا البعث وقالوا : بعد أن نصير عظامًا ورفاتًا كيف نبعث ؟!

فوقفوا فى مسألة البعث ، لأن الذى عنده لدد فى الإيمان إذا قيل له : إنك ستبعث فمن مصلحة آماله وتكذيب نفسه أن يقول : هذا لا يمكن أن يحدث ، وحتى لو حدث سنكون سادة كما نحن فى الدنيا سادة . لأن القوم فهموا أن كل الحياة هي فى ظاهر حياتهم ، فلا يفهمون الحياة إلا فى الحركة والحس ، وهذه العملية الدالة على الحياة فى الدنيا . ولم يفهموا أن كل شيء له حياة تناسبه .

obeikandl.com

فنحن مثلاً نرى العلماء الذين يحدثوننا عن الجيولوجيا والأحجار وأعمارها وكيف تتحول وتختلف كلما مر عليها الوقت ، نجد أن هذه الأحجار تتغير بمرور الوقت وتتحول إلى أنواع جديدة ، هذا التغير معناه أن فيها حياة وتفاعلا ، ولكنا نفهم الحياة على أنها حياتنا نحن التى نحياها . ولكن لكل شيء حياة تناسبه .

إذن . . فما دامت هناك حياة للذرات وللعظام وإن كانت فتاتًا . فنقول لهؤلاء المنكرين للبعث إذا كانت العظام والرفات هى أثر للإنسان الذى كانت فيه الحياة قبل ذلك ، وإذا كان اللَّه خلقكم من لا شيء أولاً ، فإذا كانت هناك رفات فإن إعادتها إلى الحياة أيسر وأسهل . قال تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق : ١٥] .

ويقول سبحانه وتعالى أيضًا : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق : ٤]

فاللَّه سبحانه وتعالى يعلم أن كل واحد منا مكون من كذا ذرة وكذا عنصر ، وأين ذهبت ذراته بعد موته ، وهو قادر على جمعها بقدرة : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ ولم يخبرنا سبحانه أنه يعلم ما تنقص الأرض منهم فقط بل أخبرنا أن عنده كتاباً حفيظاً(١) .

---

(١) قال اللَّه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم] .

قال القرطبى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ أما بدء خلقه فبعلوقه فى الرحم قبل ولادته ، وأما إعادته فإحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث؛ فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من إعادته ؛ استدلالا بالشاهد على الغائب ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . وقرأ ابن مسعود وابن عمر : ﴿ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ من أبدأ يبدئ ؛ دليله قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ [البروج] . ودليل قراءة العامة قوله سبحانه : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

و ﴿ أَهْوَنُ ﴾ بمعنى هين ؛ أى : فعل الإعادة هين عليه ؛ قاله الربيع بن خثيم والحسن . فأهون بمعنى هين ؛ لأنه ليس شيء أهون على اللَّه من شيء . قال أبو عبيدة : ومن جعل أهون يعبر عن تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء] وبقوله : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُمْ حِفْظُهُمَا ۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة] .

=

= والعرب تحمل أفعل على فاعل ، ومنه قول الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

أي دعائمه عزيزة طويلة . وقال آخر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

أراد : إنى لوجل . وأنشد أبو عبيدة أيضا :

إنى لأمنحك الصدود وإنني قسما إليك مع الصدود لأميل

أراد لمائل . وأنشد أحمد بن يحيى :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد . وقال آخر :

لعمرك إن الزبرقان لباذل لمعروفه عند السنين وأفضل

أي وفاضل . ومنه قولهم : اللّه أكبر ؛ إنما معناه اللّه الكبير .

وروى معمر عن قتادة قال : فى قراءة عبد اللّه بن مسعود : « وهو عليه هين » .

وقال مجاهد وعكرمة والضحاك : إن المعنى أن الإعادة أهون عليه - أي على اللّه - من البداية ؛ أي أيسر ، وإن كان جميعه على اللّه تعالى هينا ؛ وقاله ابن عباس .

ووجهه أن هذا مثل ضربه اللّه تعالى لعباده ؛ يقول : إعادة الشيء على الخلائق أهون من ابتدائه فينبغي أن يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم وفيما بينكم أهون عليه من الإنشاء . وقيل : الضمير فى ﴿ عَلَيْهِ ﴾ للمخلوقين ؛ أى : وهو أهون عليه ، أي على الخلق ، يصاح بهم صيحة واحدة فيقومون ويقال لهم : كونوا فيكونون؛ فذلك أهون عليهم من أن يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم أجنة ثم أطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا أو نساء . وقاله ابن عباس وقطرب . وقيل أهون أسهل ؛ قال :

وهان على أسماء أن شطت النوى يحن إليها واله ويتوق

أي سهل عليها ، وقال الربيع ابن خثيم فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ قال : ما شيء على اللّه بعزيز . عكرمة : تعجب الكفار من إحياء اللّه الموتى فنزلت هذه الآية .

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أى : ما أراده جل وعز كان .

وقال الخليل : المثل الصفة ؛ أى : وله الوصف الأعلى ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كما قال : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد : ٣٥] . أي صفتها . وقد مضى الكلام فى ذلك .

وعن مجاهد : ﴿ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ قول لا إله إلا اللّه ؛ ومعناه : أي الذى له الوصف الأعلى ، أي الأرفع الذى هو الوصف بالوحدانية . وكذا قال قتادة : إن المثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا اللّه ؛ ويعضده قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ وقال الزجاج : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي قوله : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل ؛ يريد التفسير الأول .

وقال ابن عباس : أي ليس كمثله شيء ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

الاستشفاء بالقرآن

السؤال : **ورد فى القرآن الكريم أنه شفاء ورحمة للمؤمنين . . فهل المراد هو شفاء المرض المعنوى ؟**

الجواب : يجب ألا نُضيِّق واسعًا ؛ ولما لا نقول أيضا هو الشفاء العضوى بآيات اللَّه ؟

إن الجهاز البشرى ما زال مجهولاً للناس ، لا يعرفون منه إلا الأجهزة الواضحة الظاهرة ، الجهاز الهضمى ، الجهاز التنفسى ، البولى ، التناسلى ، ثم اكتشفوا بعد ذلك الجهاز السمبثاوى . . إلخ .

وهناك أجهزة لا حصر لها ولا عدد ، ولعل غدة بسيطة لا تتجاوز حبة العدس تدير عملية فى الجسم لا نعلم عنها شيئًا .

وكل جهاز من هذه الأجهزة يؤدى دوره ما دام فى حالة اعتدال ، بين الانقباض والانبساط ، فإذا انقبض أكثر مما هو محدد له ، أو انبسط أكثر مما هو محدد له خرج عن مهمته .

واللَّه سبحانه وتعالى يضرب لنا المثل بقوله : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

أى : التزموا حد الاعتدال . . فالإنسان الذى لا تؤثر فيه الأحداث المفرحة أو المحزنة يظل جهازه سليمًا مستقيمًا ، على هيئة الاعتدال ، وتظل التصرفات الصادرة عن هذا الجهاز سليمة .

لذلك أقول : لا تُضيِّقوا واسعًا . . فقوله تعالى : ﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يمكن أن يشمل كل مرض حسى ، وكل مرض معنوى .

لأن ما نسميه بالأمراض النفسية هو ظواهر لخلل فى أجهزة عضوية لم نكتشفها بعد . . ولم نعرف خباياها .

فكل مرض لا نعرف أصله العضوى ، أو جهازه فى الجسم البشرى ، نسميه مرضًا نفسيا . فإذا اكتشفنا أساسه ، كما اكتشفنا مثلاً الغدة النخامية ، أو الغدة الدرقية ، أو الجهاز الليمفاوي حين لا يؤدي دوره ، عرفنا أنه مرض له أساس عضوى .

وقد سئل الإمام فخر الدين الرازى : هل تبرأون بالكلمة ؟

فانتهز الرازي الفرصة ، وقذف سائله بكلمة شديدة ، فغضب الرجل وارتجف وركبته الحمى ، فقال له الرازى : أمرضناك بكلمة ؟

فالذي يمرض بكلمة يشفى بكلمة . . والشفاء هو : أن تعيد كل جهاز من أجهزة الإنسان إلى حد اعتداله .

إذن . . فأى خلل فى الجهاز الإنسانى سببه عضوى لأن اللّه تعالى جعل للأعضاء صيانة ، وصيانتها فى القيم .

سيأتي يوم يكتشفون فيه أن الذى يعتدي بعينيه لرؤية ما حرم اللّه سيصيبه شحاء ، لأن من صيانة جهاز الإبصار : ألا تنظر به إلى المحرمات . . وهكذا كل عضو ، اليد حين تسرق . . واللسان حين لا ينطق بخير . . إلخ .

فالقيم تقيد الحركة . . وتقيد سلامة العضو . . فإذا لم يتقيد انفلت . . فيقال مثلاً : « انفلت عيار الشيء » . أي لم يسر على القيم .

ولذلك الرجل المستقيم من هيئته أن جميع أعضائه منضبطة . . والشرس يبدو فيه غير ذلك . . وهذا معنى العلاج بالقرآن .

إذن . . فيستطيع أن يعيش بلا خوف ولا حزن ولا مرض ؟[١] .

---

(١) ورد فى الخبر عن أمير المؤمنين على رضى اللّه تعالى عنه : خير الدواء القرآن .
أى : خير الرقية ما كان بشيء من القرآن : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] . فهو دواء للقلوب والأبدان والأرواح وإذا كان لبعض الكلام خواص ومنافع فما بالك بكلام رب العالمين الذى فضله كفضل اللّه على خلقه وفيه آيات مخصوصة يعرفها الخواص لإزالة الأمراض والأعراض وقد ألف القوم فى ذلك تآليف وممن اعتنى بإفراد ذلك الغزالي والبوني وغيرهما .
=

= قال القرطبى : قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ قرأ الجمهور بالنون . وقرأ مجاهد « وينزل » بالياء خفيفة ، ورواها المروزي عن حفص . و ﴿ مِنَ ﴾ لابتداء الغاية ، ويصح أن تكون لبيان الجنس ؛ كأنه قال : وننزل ما فيه شفاء من القرآن . وفى الخبر « من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله » . وأنكر بعض المتأولين أن تكون ﴿ مِنَ ﴾ للتبعيض ؛ لأنه يحفظ من أن يلزمه أن بعضه لا شفاء فيه . ابن عطية : وليس يلزمه هذا ، بل يصح أن تكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض ، فكأنه قال : وننزل من القرآن شيئا شفاء ؛ ما فيه كله شفاء . وقيل : شفاء فى الفرائض والأحكام لما فيه من البيان .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به تعالى من الثواب فى تلاوته ؛ كما روى الترمذى عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف » . قال هذا حديث حسن صحيح غريب ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ لتكذيبهم .

قال قتادة : ما جالس أحد القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، ثم قرأ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية . ونظير هذه الآية قوله : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ أعلم الله أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع . ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ أى : صمم عن سماع القرآن . ولهذا تواصوا باللغو فيه . وقال ابن كثير فى التفسير : يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إنه ﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : يذهب ما فى القلوب من أمراض من شك ونفاق ، وشرك وزيغ وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله . وهو أيضاً رحمة ، يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه ، واتبعه ، فإنه يكون شفاء فى حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ؛ فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وكفرا .

وقال القرطبي فى تأويل قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء] .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ أى : يرشدني إلى الدين . ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ أى : يرزقنى . ودخول ﴿ هُوَ ﴾ تنبيه على أن غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول : زيد هو الذى فعل كذا؛ أي لم يفعله غيره ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ قال : ﴿ مَرِضْتُ ﴾ رعاية للأدب وإلا فالمرض والشفاء من الله عز وجل جميعا . ونظيره قول فتى موسى : ﴿ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [الكهف : ٦٣] . =

= ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ يريد البعث وكانوا ينسبون الموت إلى الأسباب ؛ فبين أن الله هو الذى يميت ويحيى . وكله بغير ياء : ﴿ يَهْدِينِ فِى لِسَانَ يَسْقِينِ ﴾ لأن الحذف فى رؤوس الآي حسن لتتفق كلها . وقرأ ابن أبي إسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء ؛ لأن الياء اسم وإنما دخلت النون لعلة . فإن قيل : هذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها إبراهيم دليلا على هدايته ولم يهتد بها غيره ؟ قيل : إنما ذكرها احتجاجا على وجوب الطاعة ؛ لأن من أنعم وجب أن يطاع ولا يعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها ؛ وهذا إلزام صحيح .

قلت : وتجوز بعض أهل الإشارات فى غوامض المعاني فعدل عن ظاهر ما ذكرناه إلى ما تدفعه بدائه العقول من أنه ليس المراد من إبراهيم .

فقال : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ أى : يطعمني لذة الإيمان ويسقين حلاوة القبول ولهم فى قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ وجهان :

أحدهما : إذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته .

الثانى : إذا مرضت بمقاساة الخلق ، شفاني بمشاهدة الحق .

وقال جعفر بن محمد الصادق : إذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة .

وتأولوا قوله : ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ على ثلاثة أوجه :

فالذي يميتني بالمعاصي يحييني بالطاعات .

الثانى : يميتني بالخوف ويحييني بالرجاء .

الثالث : يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة .

وقول رابع : يميتني بالعدل ويحييني بالفضل .

وقول خامس : يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق .

وقول سادس : يميتني بالجهل ويحييني بالعقل ؛ إلى غير ذلك مما ليس بشىء منه مراد من الآية ؛ فإن هذه التأويلات الغامضة ، والأمور الباطنة ، إنما تكون لمن حذق وعرف الحق ، وأما من كان فى عمى عن الحق ولا يعرف الحق فكيف ترمز له الأمور الباطنة ، وتترك الأمور الظاهرة ؟ هذا محال . والله أعلم .

obeikandl.com

أصحاب الكهف

السؤال : **ما قصة أهل الكهف ؟ وما الدروس المستفادة من تلك القصة حتى أننا نجد أن القرآن الكريم أتى بسورة كاملة باسم سورة الكهف ؟**

الجواب : إن اللَّه سبحانه وتعالى ضرب مثلاً لموكب إيماني فى سورة الكهف . . وصورة الموكب الإيماني هنا تمثل عصرًا انتشر فيه الكفر . وقلة مؤمنة لا تدري ماذا تفعل أمام بطش الكافرين . . وهنا يعطينا اللَّه المثل ليكمل بذلك موكبًا من مواكب الإيمان .

وقبل أن نبدأ الحديث أحب أن أقول . . إن كل الأمثال التى تضرب فى القرآن . . قد أخفى اللَّه سبحانه وتعالى حقيقة أبطالها . . لأنها تحدث وتتكرر فى كل عصر . . والخلاف الذى يحدث حول من هم أبطال هذا المثل أو هذه القصة أو فى أي عصر حدثت . . هو خلاف لا يفيد القضية . . فالمفروض - بدلاً من أن يجرنا هذا الخلاف إلى متاهات - أن نلتفت إلى الحكمة التى أرادها اللَّه سبحانه وتعالى ونتدبر فيها . . فذلك هو المقصود . . وهو الأساس .

وقصة أهل الكهف . . هي قصة فتية آمنوا بربهم . . جاء ذكرهم فى القرآن على النحو التالى ؛ قال اللَّه تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف] .

هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم اللَّه هدى . . إنما هم يمثلون المنهج الإيمانى واستمراريته . . اللَّه قد ضرب لنا المثل فى أصحاب القرية

obeikandl.com

فى منهج إيمانى .. يجادل ويواجه .. وهذا هو أساس المنهج الإيمانى .. ولكن اللَّه فى هذا المثل فى سورة الكهف .. أخبر بأنهم لم يواجهوا ولم يستمروا .. بل هربوا بدينهم .. أو فروا بدينهم بعيدًا عن الكفار .. فهل فى هذا تناقض .. كيف يبقى الإنسان مرة يجادل .. ثم يفر بدينه مرة أخرى !

نقول لمن يدعى ذلك أنك لم تفهم الحكمة .. فالحكمة فى المثلين واحدة وإن اختلف الأسلوب .. فاللَّه سبحانه وتعالى يريد أن يبقى المنهج الإيمانى مواجهًا الكافرين .. مجادلاً لهم حتى آخر لحظة .. ولكنه فى الوقت نفسه لا يريد من المنهج الإيمانى إذا واجه قوة ستقضى عليه .. أن يستسلم ويتركها لتقضى عليه إنما عليه أن يفر بدينه إلى مكان آخر .. ثم بعد ذلك يعود مرة أخرى .. بعد أن يكون قد قوى واستطاع أن يواجه .. يعود مرة أخرى قويا إلى المواجهة .. وهو سبحانه لا يريد ممن يدعون لدينه أن يهربوا من المجتمع .. أو أن يعتزلوا .. بل لابد أن يبقوا .. وأن يقولوا كلمة الحق .. وأن تظل الدعوة مستمرة . ولذلك إذا قرأنا قصة أهل الكهف بعناية .. نجد أن اللَّه سبحانه وتعالى قد حدد شرطين لا ثالث لهما .. ليفر الإنسان بدينه إلى مكان آخر ويبدأ الدعوة من جديد الشرطان هما : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٢٠] .

إذن .. فالأساس هو ما حدده القرآن الكريم فى هذه السورة .. فقد كان الفتية المؤمنون إذا بقوا .. فإنهم سيواجهون أحد أمرين .. إما أن يرجموهم علنًا أمام الناس .. ويقتلوهم على رؤوس الأشهاد .. وفى هذه الحالة ينتهى موكب الإيمان من هذه البلدة إلى فترة محدودة .. وإما أن يجبروهم علنًا على أن يعودوا إلى عبادة الأصنام .. وفى هذه الحالة .. ربما يكون هناك عدد من المؤمنين الذين يكتمون إيمانهم .. فيشهدون هؤلاء الفتية وقد ارتدوا عن الإيمان فيفتنون بهم ويرتدوا هم أيضًا .. ويتوقف موكب الإيمان فى هذه البلدة إلى حين .

إذن .. فالأساس هنا هو استمرارية موكب الإيمان أو المحافظة على

هذه الاستمرارية ، هذا بالنسبة لمن يدعون إلى تطبيق المنهج . . أما بالنسبة للّه سبحانه وتعالى ، فاللّه قادر أن ينصر دينه وكلمته بما شاء وكما شاء . . وهو سبحانه ليس محتاجًا إلى أحد ، إنما الأساس هو أن الهجرة أو الفرار بالدين . . لا يكون إلا لهذين السببين اللذين حددهما اللّه . . وأن بقاء الدعاة فى المجتمع ، ما داموا غير مهددين بالقتل . . أو بالإكراه على الكفر . . أقول إن بقاءهم فى هذه الحالة واجب إيمانى . . وأنهم لابد أن يبقوا ويظلوا يؤدون واجبهم كدعاة للحق .

هؤلاء الفتية وجدوا أن بقاءهم فى المجتمع الكافر سيعرضهم لأحد شيئين . . إما أن يقتلوا ويحرم المنهج ممن يدعون إليه . . وفى هذه الحالة فإن قتلهم لا يفيد المنهج . . لأن المنهج محتاج لموكب إيمانى . . وإما أن يكرهوا على الكفر فيصبحوا فتنة للذين آمنوا . . ودعوة إلى الكفر والإلحاد . . وفى هذه الحالة أيضًا يحرم المنهج الإيمانى من حاملين له ومؤمنين به ودعاة له . . وفى هذه الحالة لابد أن يفروا إلى مكان ليعودوا مرة أخرى وهم أكثر قوة .

وكانت أول مرحلة لهؤلاء الفتية هى أن يلتجئوا إلى الكهف حتى يتدبروا أمرهم ، ولذلك فهم لم يذهبوا إلى الكهف ليبقوا هناك بقية حياتهم ، أو لكى يناموا أو لكى يعتزلوا المجتمع ويعيشوا فى مجتمعهم الخاص ، وإنما الكهف وسيلة للاختفاء نهارًا . . ربما ليكملوا رحلتهم ليلاً . . أو وسيلة للاختفاء فترة قصيرة حتى يهاجروا من هذا البلد بعد أن تهدأ العيون التى تتبعهم ، والتى تريد أن ترجمهم أو ترغمهم على الكفر . . فلما دخلوا الكهف ألقى اللّه سبحانه وتعالى عليهم النوم . . ولم يكن هذا مقصودًا منهم . . بل إن اللّه سبحانه وتعالى هو الذى أراده لحكمة . . ولكن التجاءهم للكهف كان المقصود به منهم إبقاء الخميرة الإيمانية . . أو خميرة منهج الإيمان . . ليذهبوا بها إلى مكان آخر يمكن أن تختمر فيه وتنتشر . . لذلك لابد للمؤمن أن يحافظ على حياته . . لأن حياته هى الخميرة لمنهج الإيمان . . وحتى يظل المنهج الإيمانى . . وفرارهم كان من أجل استبقاء حمل المنهج . . وليفروا إلى مكان ينشرون فيه الدعوة .

وتمضى الآية الكريمة : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] .

وهنا إشارة من اللَّه سبحانه وتعالى إلى الرحمة التى تصيب العبد المؤمن ، الذى يُضْطَهد بسبب إيمانه ودينه ، والمعروف أن الكهف مكان ضيق لا يصلح للإقامة إلا فترة قصيرة ، فهو عادة يكون سيئ التهوية وغير صالح للحياة . . ولكن اللَّه سبحانه وتعالى قد حفظ لهم الحياة فى هذا الكهف الضيق سنوات طويلة وهذه إشارة إلى أن ذلك الذى يسلك مسلك الإيمان . . قد يجعل هذا المسلك حياته الدنيوية ضيقة صعبة ، وقد يسلبه ميزات كثيرة من التى يتمتع بها الناس ، ويجعله يعانى . . وهنا تتدارك رحمة اللَّه عبده المؤمن . . إذ يجعل اللَّه سبحانه وتعالى من هذه الحياة الضيقة حياة ميسرة ، ويذهب الضيق الذى أوجده الكفار فى حياة الإنسان المؤمن ، بأن ينشر اللَّه من رحمته على هذه الحياة ، ما يجعل من الضيق فرجًا ، ومن العسر يسرًا ، ومن الحياة المحدودة جدا حياة واسعة ، ويهيئ اللَّه برحمته مخرجًا بالنسبة للخطوات القادمة .

خرج الفتية إلى الكهف . . وفى هذا المكان الضيق الذى - كما قلنا - لا يصلح للحياة لفترة طويلة . . جعل اللَّه سبحانه وتعالى برحمته هذا المكان يصلح لهم لما قالوا : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

إذن . . فهم رفعوا الأمر من قدراتهم هم عندما فشلوا فى إقناع قومهم بعبادة اللَّه وترك الأصنام التى يعبدونها . . وعندما أحسوا بالتهديد بالرجم أو بالإكراه على الكفر . . رفعوا الأمر إلى اللَّه فقالوا : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ .

ماذا حدث بعد ذلك ؟ قال تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] .

واللَّه يريد أن يلفتنا إلى أن الصلة التى تؤرق الإنسان فى نومه . . أو تصله بالدنيا فى كل الأوقات ، هى : الأذن ، فكل الحواس تنام ما عدا

الأذن . . ذلك أنك إذا جئت إلى إنسان نائم وقربت أصبعك من عينه حتى تكاد تلمسها فإنه لا يحس ولا يستيقظ ، وإذا وضعت يدك على يده قد لا يستيقظ إذا كان ينام نومًا عميقًا ، وإذا أطلقت رائحة غريبة فى حجرة فلا يحس بها ولا يستيقظ ، حتى إذا أطلقت غازًا ساما ، فقد يستنشقه ويموت وهو نائم من دون أن يستيقظ .

ولكنك إذا أحدثت صوتًا عاليًا بجانب أذنه باستخدام أية آلة تحدث صوتًا عاليًا . . أو باستخدام كفيك تصفق بهما بجانب أذنه . . أو بالنداء عليه بصوت عال ، فإنه يهب من نومه مذعورًا . بل إن الأذن هى أول حاسة تعمل فى جسم الإنسان عند ولادته .

فالطفل حديث الولادة قد تمضى عليه عدة أيام قبل أن يستطيع أن يستخدم حاسة البصر استخدامًا سليمًا . . ولكن حاسة السمع تعمل من أول لحظة فيزعجه الصوت العالى . . والأذن هى أداة الاستدعاء عند البعث .

إن اللَّه سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا كيف نام هؤلاء الفتية تلك السنوات الطويلة بدون أن يحسوا . . بأن ضرب اللَّه على آذانهم . . فأصبح النهار بلا ضجيج كالليل فى سكونه تمامًا . . وحتى إذا وصل أعداؤهم إلى مدخل الكهف وتحدثوا بصوت عال . . فإن ذلك لن يزعجهم ولن يجعلهم يحسون الخطر . . لأنهم لو شعروا ربما تصرفوا تصرفًا يكشفهم ويعرضهم لإيذاء الأعداء . . ولذلك كان الضرب على آذانهم حتى يرقدوا فى سلام تام . . تمامًا كما ينام الإنسان فى جوف الليل . . حين تهدأ الحركة تمامًا .

ووفر اللَّه لهم سبحانه وتعالى أسباب الحياة الكونية . . فجعل الشمس تدخل إلى الكهف . . بدون أن تصيب أشعتها أجسادهم فتوقظهم حرارتها وشاءت قدرته أن يقلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال . . ليحفظ أجسادهم من أمراض الرقدة الطويلة . . ومن أن تأكلها الأرض .

ثم جاءت الحكمة فى البعث بعد فترة طويلة من النوم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١٩] .

من الواضح هنا أن الفتية المؤمنين قد فقدوا عنصر الزمن . . وعندما أفاقوا من نومهم بعد هذه السنوات الطويلة . . لم يكن هناك شيء فى الكهف قد تغير وإن كان كل ما فى خارج الكهف قد تغير ولكنهم لم يشعروا به لأن عنصر الزمن لا يحس به الإنسان إلا بالمتغيرات ، بمعنى : أنك إذا جلست فى حجرة وأقفلت كل نوافذها . . وجعلتها ظلامًا ليس فيها أي حركة ولا أي أحداث تتم ، ولا صلة لك بالعالم الخارجى ، فأنت لا ترى الشمس حين تشرق أو تغرب ، وليس هناك ساعة تدلك على الزمن ، ولا من يأتيك فإنك تفقد القدرة على الصلة بالزمن ، فالزمن أساسه التغير الذى يتم ، الشمس التى تشرق وتغرب ، مظاهر الكون التى تتأثر بالزمن ، القمر وحركة النجوم ، أي أساسه الحركة ، وما دام الفتية المؤمنون كانوا فى سكون تام ، نتيجة أن اللَّه ضرب على آذانهم ، وما داموا قد قاموا فوجدوا الكهف كما هو لم يتغير فيه شيء ، فقد خيل إليهم أن الزمن لم يتغير ، وأنهم قد لبثوا يومًا أو بعض يوم ، ومن هنا فقد كانوا على حذرهم وخوفهم من الكفار ، ولذلك طلبوا إلى ذلك الذى يأتى إليهم بالطعام ألا يجعل أحدًا يشعر بهم حتى لا يرجموهم أو يعيدوهم فى ملتهم .

وجعل اللَّه الناس يعثرون عليهم . . فقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف : ٢١] .

وكان العثور عليهم له أكثر من حكمة ، أولاً : تحولت البلدة الكافرة التى كانت تعبد الأوثان إلى بلدة مؤمنة تعبد اللَّه سبحانه وتعالى ، فى هذه السنوات الطوال التى مرت ، تغير الحال تمامًا ، وانتهى موكب الكفر وزال عن البلدة وانتشر موكب الإيمان ، وكان فى ذلك حكمة : هي أن اللَّه سبحانه وتعالى يريد أن يلمس هؤلاء الفتية كيف انتصر موكب الإيمان ، وأن اللَّه سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر دينه ، وأن هذا الذى تبدل وتغير ، إنما تم وهم نائمون فى الكهف ، وذلك حتى يعلموا أن قدرة اللَّه فوق كل قدرة ، وأنه إذا كان بعض الناس قد وفقهم اللَّه إلى اختيار طريق الإيمان ، فإن ذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى يريد أن يجزيهم الجنة . . ويريد أن يمتعهم

بقدراته فى الآخرة ، وليس ذلك لأن اللّه محتاج إلى خلقه لينشر دينه أو ليعلي كلمته ، ولكنه غني بقدرته عن ذلك كله ، وذلك حتى نعرف جميعًا أننا إذا أخذنا طريق الإيمان ، فإن ذلك يكون رحمة من اللّه بنا ورضا من اللّه عنا ولا يكون لحاجة من اللّه إلينا .

وهكذا رأى الفتية المؤمنون وشهدوا موكب الإيمان ، وعرفوا أن هدى اللّه لهم كان من رحمته بهم ، ولم يكن عن حاجة لأحد .

وحكمة أخرى : أنهم شهدوا بأنفسهم البعث ورأوا كيف أنامهم اللّه هذه السنوات الطويلة ، فلم يحسوا إلا أنهم قد قضوا يومًا أو بعض يوم ، وأن اللّه سبحانه وتعالى الذى بعثهم فى هذه الدنيا قادر على أن يبعثهم فى الآخرة ، ويستيقنوا برؤيا اليقين بعد أن آمنوا إيمان اليقين ، بأن الساعة قادمة ، وبأن ما آمنوا به هو الحق ، ويعرفوا أنهم اختاروا طريق الحق ، وأنهم فازوا فوزًا عظيمًا .

والحكمة الثالثة : ليستيقن هؤلاء الذين جاءوا ونشروا الإيمان بعد الكفر . بالبعث وبالآخرة . . وبقدرة اللّه سبحانه وتعالى على بعثهم يوم القيامة ، ويتحول الإيمان بالغيب عندهم إلى رؤيا يقينية شهدوها بأعينهم .

obeikandl.com

معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾

السؤال : **تتردد كلمة « إن شاء الله » على ألسنة الناس اتباعًا للقرآن بدون أن يفقهوها فقهًا يجعلها عبادة ذات نتيجة حاسمة تعمر القلب بالإيمان فما فقه هذه الكلمة ؟**

الجواب : الأمر بهذه الكلمة جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۝٢٤ ﴾ [الكهف] فالكلام على الغد ، وما دام غدًا فهو مستقبل ، وما دام الحديث عن المستقبل فأنت محجوز عنه بحاجز زمان المستقبل ، فلا تستطيع أن تحكم به ، ولا تقول أنا أفعل ذلك غدًا إلا إن قلت مع ذلك : « إن شاء الله » . لماذا ؟ لأن الحدث بالنسبة لنا يحتاج إلى عناصر :

العنصر الأول : الفاعل .

العنصر الثانى : المفعول .

العنصر الثالث : زمان ومكان الحدث .

العنصر الرابع : السبب .

العنصر الخامس : القوة اللازمة لتنفيذ هذه الأشياء . هذه عناصر الحدث عندنا .

إذن . . فلا يوجد حدث إلا بفاعل ، ومفعول يقع عليه الحدث . وزمان ومكان يحصل فيهما الحدث ، وقوة تستطيع أن تقوم بالحدث ، هذه هى العناصر . . فإذا قلت : أنا أذهب غدًا إلى فلان لأكلمه فى كذا . فأىّ عنصر من هذه العناصر يملكه الإنسان ؟

إنه لا يملك نفسه فاعلاً أن يظل إلى غد ، ولا يملك المفعول الذى يقابله غدًا أن يظل إلى غد ، ولا يمكن أن يتصرف فى الزمان والمكان أن يظل إلى غد ، وهب أن السبب موجود مع كل هذه العناصر : الفاعل

والمفعول والزمن والمكان وكل شيء ، هل أضمن أن يظل السبب فى اللقاء موجودًا ؟ لا . بل يمكن أن يتغير . وإذا وجد السبب هل ضمنت أن تظل لي القوة التى أنفذ بها هذا اللقاء ؟

إذن . . فأنا لا أملك عنصرًا من عناصر الحدث ، ولذلك وجب أن أردها إلى من يملكها ، فأقول : أنا أفعل غدًا إن شاء اللّه كذا[١] .

---

(١) جاء فى كتاب مقالات الإسلاميين للإمام أبو الحسن الأشعري قوله : وقالوا : إنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شرّ إلا ما شاء اللّه ، وأن الأشياء تكون بمشيئة اللّه ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير : ٢٩] .

وكما قال المسلمون : ما شاء اللّه كان ، وما لا يشاء لا يكون .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم اللّه ، أو أن يفعل شيئاً عَلِمَ اللّه أنه لا يفعله .

وفي كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم : قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منا إلا أن يشاء اللّه كونها .

وجاء فى كتاب الحاوي فى الفتاوي للسيوطى :

مسألة من حلب : قد وقع فى تفسير القاضي البيضاوي موضع عسر فهمه فى تفسير قوله تعالى فى سورة الكهف ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۝٢٤ ﴾ [الكهف] والاستثناء من النهي أي لا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إنى فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء اللّه أي إلا ملتبسا بمشيئته قائلا إن شاء اللّه أي إلا وقت أن يشاء اللّه أن يقوله بمعنى أن يأذن لك ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي انتهى .

والمقصود بيان ذلك ، ويوضح ذلك قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن إلى آخره فإن هذا عسر فهمه على كثير من الناس .

الجواب : سبب ذلك وجازة العبارة واختصارها ، ويوضحه ما فى عبارة ابن الحاجب حيث قال : الوجه فيه أن يكون استثناء مفرغا كقولك لا تجئ إلا بإذن زيد ولا تخرج إلا عشية على أن يكون الأعم المحذوف حالا أو مصدرا وحذفت الباء من بأن يشاء اللّه أي إلا بذكر المشيئة وقد علم أن ذكر المشيئة المستصحبة فى الأخبار عن الفعل المستقبل هي المشيئة المذكورة بحرف الشرط أو ما فى معناه كقولك لأفعلن إن شاء اللّه أو بمشيئة اللّه وما أشبهها ، قال : وأما ما ذكر أنه متصل بقوله إنى فاعل ففاسد إذ يصير المعنى إنى فاعل بكل حال إلا فى حال مشيئة اللّه فيصير المعنى النهي عن أن يقول إنى فاعل إن شاء اللّه وهذا لا يقوله أحد . انتهى .

وقد وضح بهذا معنى قول القاضى : ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد ، وهذا التعليل من زوائده على الكشاف أخذه من أمالي ابن الحاجب ، =

= وقول القاضى : واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى . هذا التعليل هو المذكور فى الكشاف وعبارته لا بقوله إنى فاعل لأنه لو قال إنى فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك ما لا مدخل فيه للنهي انتهى .

والحاصل أن القاضي علل إبطال تعلقه بقوله إنى فاعل بأمرين :

أحدهما : أنه يؤدي إلى النهي عن أن يقول إنى فاعل إن شاء الله وذلك فاسد .

والثاني : أنه يؤدي إلى أن المعنى إنى فاعل إلا أن يعترض المشيئة دون الفعل .

وهذا القدر وإن كان صحيحا فى نفسه إلا أنه لا مدخل للنهي فيه فلا يلتئم معه قوله ولا تقولن لشىء فبطل تعليق الاستثناء بقوله إنى فاعل ويعين تعليقه بالنهي والأول من الأمرين ذكره ابن الحاجب ولم يذكره صاحب الكشاف فجمع القاضي بينهما كعادته فى الجمع والإيجاز .

وفي مختصر ابن كثير : هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شىء ليفعله فى المستقبل أن يرد إلى مشيئة الله عزَّ وجلَّ علام الغيوب ، كما ثبت فى الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة وفى رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل فى سبيل الله ، فقيل له - وفى رواية قال له الملك : قل إن شاء الله ، فلم يقل ، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته » . وفى رواية : « ولقاتلوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون » . وقد تقدم فى أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف : « غدا أجيبكم » ، فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً ، وقوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] : قيل معناه إذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له « قاله أبو العالية والحسن البصرى » ، وقال ابن عباس فى الرجل يحلف ، له أن يستثني ولو إلى سنة ، وكان يقول ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ذلك ، ومعنى قول ابن عباس أنه يستثنى ولو بعد سنة أي إذا نسي أن يقول فى حلفه أو فى كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتياً بسنة الاستثناء ، حتى ولو كان بعد الحنث . قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك ، لا أن يكون رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة ، وهذا الذى قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح ، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم . وقال عكرمة ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ : إذا غضبت .

وقال الطبرانى ، عن ابن عباس فى قوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ أن تقول إن شاء الله . وروى الطبراني أيضاً عنه استثن إذا ذكرت ، وقال هي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لأحد منا أن يستثني إلا فى صلة من يمينه ، ويحتمل فى الآية وجه آخر ، =

obeikandl.com

= وهو أن يكون اللّه تعالى قد أرشد من نسي الشيء فى كلامه إلى ذكر اللّه تعالى ، لأن النسيان منشؤه من الشيطان ، كما قال فتى موسى : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ وذكر اللّه تعالى يطرد الشيطان ، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ، فذكرُ اللّه تعالى سبب للذكر ، ولهذا قال : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ أى : إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل اللّه تعالى فيه ، وتوجه إليه فى أن يوفقك للصواب والرشد فى ذلك .

القرآن هادٍ أو هدى

السؤال : هل القرآن هادٍ أم هدى ؟

الجواب : جاء القرآن الكريم هاد للبشر ، ولكن لتمام ما فيه من منهج هو هدى أيضًا . ذلك أن القرآن هدى مطلق لكل البشر لأنه لا يتغير .

والمؤمن المهتدى بالقرآن يخصه الحق بأن يعينه على الطاعة ويضع فى قلبه كراهية الكفر والفسوق : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [مريم] .

إن الحق تبارك وتعالى يهيئ للمؤمنين به المزيد من الهداية ؛ فهم موصولون بالخير فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة ؛ فلا تنال من قلبه الصعاب ولا تهز من يقينه الأحداث .

أما من يكفر بآيات اللَّه فويل له من حصار الغرور الذى يقع فيه ؛ إنه يظن أنه قادر على إدارة حياته . . ولأنه نسى اللَّه أنساه اللَّه نفسه فمضى بعيدًا فى تخيل قدرته على توجيه الحياة ، ويغرق فى عذاب الغرور والذلة فى الدنيا ويعود يوم القيامة فردًا محاصرًا بعمله وقوله الفاسد .

إن من يُقبل على اللَّه يستقبله اللَّه استقبال المحبين . ومن يُعْرِضْ عن اللَّه يمد اللَّه له فى الغيّ .

ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم جاء بالمنهج الحق : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۖ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

إن القرآن الكريم الذى نزل على الرسول الأمين محمد صلى اللَّه عليه

وسلم . بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام هو نور من الحق سبحانه يهدي به من يشاء .

إذن . . القرآن هو الهدى من اللّه . . وآياته نور فى القلب . . ويشيع ذلك النور فى كل الحياة ؛ لذلك يكون القلب المهتدي بالإيمان مُشِعًّا بالحركة الطيبة فى الدنيا فلا يفعل إلا طيبًا .

لهذا نرى أن الدنيا بالهدى والتقوى . . هي دنيا سعيدة بالفعل ، وينسجم فيها الإنسان مع الكون .

والتقوى أمان للمؤمن وقدوة للضال . . بل إن الضال يستطيع أن يحيا مع المؤمنين وهو آمن على نفسه وماله وعِرْضه . . لأنهم ملتزمون بتكاليف الحق بعدم الإساءة إلى أحد[١] .

---

(١) **الهداية نوعان** : هداية دلالة ، وهداية معونة ، هداية الدلالة هي للناس جميعًا ، وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج اللّه .
واللّه سبحانه وتعالى هدى كل عباده هداية دلالة ، أى : دلّهم على طريق الخير وَبَيَّنَهُ لهم ، فمن أراد أن يتبع طريق الخير اتبعه ، ومن جحد وعصى ، تركه اللّه لما اختار[١] .

---

(١) قال العلامة ابن القيم : فالهداية : هى البيان والدلالة ، ثم التوفيق والإلهام ، وهو بعد البيان والدلالة . ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل . فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق . وجعل الإيمان فى القلب وتحبيبه إليه ، وتزيينه فى قلبه ، وجعله مؤثرا له ، راضياً به ، راغباً فيه . وهى هدايتان مستقلتان ، لا يحصل الفلاح إلا بهما وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالا ، وإلهامنا له ، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرا وباطنا . ثم خلقُ القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم . ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة .
ومن ههنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة ، وبطلان قول من يقول : إذا كنا مهتدين ، فكيف نسأل الهداية ؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم .
وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلا مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه ، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك . وما نعرف جملته ولا نهتدى لتفاصيله ، فأمر يفوته الحصر . ونحن محتاجون إلى الهداية التامة . فمن كملت له هذه الأمور ، كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام .
وللهداية مرتبة أخرى - وهى آخر مراتبها - وهى الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة ، وهو الصراط الموصل إليها . فمن هُدى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، هُدى هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه . وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله لعباده فى هذه الدار ، يكون ثبوت قَدَمه على الصراط المنصوب على مَتْن جهنم . وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذلك الصراط .
=

= فمنهم من يمركالبرق ، ومنهم من يمر كالطَّرْف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشى مشياً ، ومنهم من يحبو حبوا ، ومنهم المخدوش المسلَّم ، ومنهم المكردَس[١] فى الناس . فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا ، حَذْو القُذَّة[٢] بالقذة جزاء وفاقا : ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ولينظر الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم ، فإنها الكلاليب[٣] التى بجَنْبتى ذلك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه : فإن كثرت هنا وقويت فكذلك هى هناك : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] . فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير ، والسلامة من كل شر .

بدائع التفسير [١/ ١١٦ : ١١٧] .

(١) الكردسة : الوثاق . والرجل المكردس : الذى جُمعت يداه ورجلاه وأُلقى إلى موضع .

لسان العرب [٦/ ١٩٦] .

(٢) القذة : ريشة الطائر والنسر والصقر ، بعد تسويتها وإعدادها لتُرَكَّبَ فى السهم .

الوسيط [٧٢١] .

(٣) جمع كلُّوب وهو حديدة معطوفة الرأس يُعلق فيها اللحم وترسل فى التنور .

شرح النووى على مسلم [٢/ ٣٠] .

obeikandl.com

الإلحاد فى بيت اللَّه الحرام

السؤال : **ما معنى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ؟ [الحج : ٢٥] .**

الجواب : الحق سبحانه يجعل ألسنة العوام تنطق بكلمات تستقى منها الفتوى أحيانًا . . مثلاً يأتى لك من يقول : وفى بيت العالم وتسكر ؟ ما معنى هذا الكلام ؟

يعنى : لو كان السُّكْر فى غير هذا المكان « بيت العالم » حلالاً مباحًا ، يصير فى بيت العالم حرامًا .

وكذلك الانحراف ، لو أبيح فى غير بيت اللَّه ، فهو فى بيت اللَّه حرام . لماذا ؟

لأنك لا تذهب إلى بيت اللَّه إلا طامعًا فى رحمته ، وفى الاغتسال من ذنوبك ، فهل يصح أن تأتي فى زيارة قد لا تكون إلا فى العمر مرة ، ثم ترتكب معصية .

لقد أبيح الاختلاط فى « بيت اللَّه » ، لأن كل إنسان مشغول بنفسه ، وقد تطوف وخلفك سيدة لا تشعر بها ، وقد تمر أمامك ولا تتبين شكلها .

إذن . . فإباحة الاختلاط فى هذا المكان الذى يذهب إليه الإنسان فى العمر مرة ليغتسل من ذنوبه ، ويعود مغفورًا له ، ليس معناها : أن يذهب الإنسان إلى هذا المكان ، ويفكر فى معصية ، ولو بمجرد نظرة .

وحتى لو كان الأمر ليس متعلقًا بالدين فإنه يكون « قلّة حياء » .

ولكن ما معنى الإلحاد هنا ؟ إذا كان الإلحاد فى القمة ، أى : فى « الألوهية » ، فقد غير الإنسان حكم اللَّه فى الوحدانية . استمع إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] . ﴿ وَمَن لَّمْ

﴿ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] . فالظالم دون الفاسق ، والفاسق دون الكافر . . والبعض تصور خطأ أن الحكم واحد . . والحقيقة أن الاختلاف فى الحكم يأتى باختلاف المحكوم به . فإن حكم بغير ما أنزل اللّه فى قضية القمة والعقيدة وأشرك ، فهذا هو الكفر بعينه . وإن حكم بغير ما أنزل اللّه فى كبيرة أو صغيرة ، وغيره ، فهذا هو الفسق . وإن حكم بين اثنين بالظلم ، فهذا هو الظلم .

إذن . . فهناك اختلاف بين الألفاظ الثلاثة . . ولماذا قلت : كفرًا ، ثم فسقًا ، ثم ظلمًا ؟

وهنا نقول : قسم المخالفات بدرجاتها : الضلال فى القمة يسمى كفرًا ، وبعد ذلك فسق ، وبعد ذلك ظلم .

فلماذا إذن رجحت كلمة : ﴿ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ على كلمة : ﴿ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ و ﴿ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ؟

حين تختلف النصوص والصدور متفقة تبقى الجهة منفكة . . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فى قضية بين اثنين ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . . ولا يصح أن تأتي بالألفاظ الثلاثة مجتمعة .

وحتى تتضح هذه القضية نقول : لو تأملنا هذه الآية : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

والآية : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣١] .

وهنا قد نسمع من يقول : إن هذا مجرد تفنن فى العبارة . . تارة يقول : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ، وتارة أخرى يقول : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ .

ونقول لصاحب هذا الرأى : لا ياسيدى . . ليس الأمر كما تقول - مجرد تفنن فى العبارة - لأن الحق تبارك وتعالى قال فى الأولى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ . وقال فى الأخرى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ .

openkandil.com

انظر إلى الصدر لترى كيف اختلف فى الحالتين . . فحين قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾ فالمعنى : أن الإملاق وهو الفقر موجود بالفعل . وإذا كان الفقر موجودًا بالفعل ، فكل همي منصب على رزقى ، قبل اهتمامي برزق ولدي الذى سوف يولد .

فإذا كان الفقر موجودًا فكل همى وشغلى وفكرى فى رزقى أولاً . . لكن حين يقول : ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ . فالمعنى : أن الفقر غير موجود . . ونخشى حين يأتى الطفل أن يأتى معه الفقر . فالحق سبحانه يقول فى هذه الحالة : حين يأتى الطفل معه رزقه ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ . هذه قضية .

وفى قضية أخرى قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وقال فى آية أخرى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٨] . وهنا نجد : نعمة ، ومنعم ، ومنعم عليه . . أما النعم فهي كثيرة : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ لأن فى الإحصاء مظنَّة الإحاطة . . وهو ظلم ، لأنه غير ممكن من العبد . وبالنسبة للمنعم والمنعم عليه ، لولا أن المنعم غفور رحيم لقطع نعمه كلها عن العبد جزاء لكفره بالنعم .

obeikandl.com

الإنسان مخلوق من تراب

السؤال : لقد وضح الله سبحانه وتعالى بأن الإنسان مخلوق من تراب وثبت بعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام ذلك وهذا يوضح الإعجاز العلمي لخلق الإنسان من تراب ولكن السؤال : كيف أن الإنسان مخلوق من تراب فى آية ، وفى آية أخرى أنه مخلوق من طين ، وفى آية أخرى من حمأ مسنون ؟ ما سر هذا التعدد وأوجه الاختلاف فى كل آية ؟

الجواب : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

إن هذا القول الفصل يثبته العلم بعد مئات السنوات من نزول القرآن . فقد أثبت العلم أن الكون أصله كرة واحدة ضخمة ثم انفصلت الكواكب عن بعضها البعض . . كما أن كل شىء فى هذه الحياة أساسه الماء . . بل إن الماء ضروري لا لحياة الإنسان والكائنات فقط . . بل إن الماء أساس فى الجسد البشري حتى يقوم كل عضو من أعضاء الجسد بوظائفه .

وعندما يجىء القرآن الكريم ليؤكد أن الإنسان مخلوق من تراب . . فقد ثبت فى العصر الحديث أن مكونات الجسم البشرى هي عناصر الأرض نفسها . . ويقول الحق تبارك وتعالى . . ليذكر البشرية والعقل البشري الذى قد تنتابه الشكوك فى البعث مرة أخرى بعد الموت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥] .

إن الحق تبارك وتعالى يوضح بالآية الكريمة ما ينفي الشك عن العقل

الإنساني هذا الشك الذى قد يصيب بعض العقول من أن البعث آت لا ريب فيه . . فيقول الحق إن الإنسان مخلوق من تراب . . وهذا أصله . . ثم جعل اللَّه للإنسان قدرة على التزاوج . . فيأتى من صلب الرجل حيوان منوى . . ويتم التزاوج مع البويضة ، ثم تصير البويضة والحيوان المنوي مضغة من دم متجمدة ثم تتحول إلى قطعة من اللحم التى تحمل ملامح إنسان . . وقد تنزف المرأة الجنين قبل تمام نموه ، وقد يتم الجنين ويخرج إلى الحياة . . هذا أمر متعلق بإرادة اللَّه .

وبعد ذلك يصل الإنسان إلى الحياة طفلاً ، ويبلغ برعاية الأم ولبنها إلى درجة من النضج ويتيح له الترابط الأسرى درجة من النمو فى المجتمع ويبلغ الطفل الرشد . . وخلال رحلة العمر قد يموت الإنسان طفلاً أو شابا أو يبلغ الكبر حتى ينسى كل ما تعلمه فى الحياة . . ولنا أن نعرف أن العلم قد أثبت أن الذاكرة لا تضمحل إلا فى قليل نادر من حالات المرض العقلى أو فى الشيخوخة الشديدة ، فإن الإنسان ينسى فى هذه الشيخوخة الشديدة كل ما تعلمه وعرفه . . وهذه قدرة الحق تبارك وتعالى . . تلك القدرة التى تتجلى فى أن البعث أمر فى مشيئة اللَّه . . تلك المشيئة التى تتجلى فى نزول الماء على الأرض القاحلة فتدب فيها الحياة ، وينتفخ طينها بالماء ، وتخرج أصناف النباتات ، تلك النباتات التى تمتلك أيضًا قدرة على التزاوج لتعطي الثمار التى يبتهج بها الإنسان .

وعن مرحلة الإنسان كسلالة من طين نجد الآيات الواضحة التى تصف لنا هذا الغيب الذى لم نشهده ولكنا نحس صدقه فى حياتنا . . ويتأكد لنا عند رؤيتنا للموت . . يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون] .

إن الدعوة موجهة من قبل الحق تبارك وتعالى لعباده ليتأملوا كيفية الخلق . إن عناصر الإنسان هي عناصر الطين نفسها الذى خلق منه آدم ،

ومن سلالته كان البشر .. كل إنسان أصله نطفة من حيوان منوي وبويضة يتحدان معًا فى الرحم .. هذا المكان الحصين الأمين الذى تم خلقه بين عظام حوض المرأة ليكون مكانًا صالحًا لحمل الإنسان تسعة أشهر .. فمن نطفة إلى علقة أي بويضة مخصبة بالحيوان المنوي إلى مضغة من دم .. ومن هذه المضغة يتم خلق العظام ، ومن ذلك يتم خلق اللحم البشري بالنمو داخل الرحم ثم ينفخ فيه اللّه الروح ، ثم يخرج إلى الحياة إنسانًا جميل الطلعة .. حسن الاستقبال .. وبعد الحياة هناك الموت ثم البعث للحساب فى يوم القيامة .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر] .

هكذا يشرح اللّه لنا أطوار الحياة : من ماء .. من تراب .. من طين .. من صلصال .. من حمأ مسنون . والحمأ المسنون هو الطين المتغير ، ثم ينفخ اللّه الروح بأمره فيكون الكائن بشرًا .

obeikandl.com

شرع اللّه عاصم من الهوى

السؤال : **الإسلام جاء ليعصمنا من الأهواء فما فائدة ما يفعله العبد إن كان أمر اللّه نافذًا ؟**

الجواب : الراسخون فى العلم يقابلهم من تلويهم الأهواء ، والأهواء تلوي إلى مرادات النفس وإلى ابتغاءات غير الحق . وما دامت ابتغاءات غير الحق ، فغير الحق هو الباطل ، فكل واحد من أهل الباطل يحاول أن يأتى بشىء يتفق مع هواه . ولذلك جاء التشريع من اللّه ليعصم الناس من الأهواء ؛ لأن هوى إنسان ما قد يناقض هوى إنسان آخر ، والباقون من الناس قد يكون لهم هوى يناقض بقية الأهواء .

والحق سبحانه يقول : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

إذن . . فلابد أن نتبع فى حركتنا ما لا هوى له إلا الحق ، والدين إنما جاء ليعصمنا من الأهواء ؛ فالأهواء هي التى تميلنا ، والذى يدل على أن الأهواء هي التى تميل إلى غير الحق أن صاحب الهوى يهوى حُكْمًا فى شىء ، ثم تأتي ظروف أخرى تجعله يهوى حكمًا مقابلاً ، إنه يلوي المسألة على حسب هواه ، وإلا فما الذى ألجأ دنيا الناس إلى أن يخرجوا من قانون السماء الأول الذى حكم الأرض عند آدم عليه السلام ؟

لقد خرجوا من قانون السماء حينما قام قوم بأمر الدين فأخذوا لهم من هذا سلطة زمنية ، وأصبحوا يخضعون المسائل لأهوائهم . وحتى إذا نظرنا إلى تاريخ القانون فى العالم لوجدنا أن أصل الحكم فى القضايا إنما هو لرجال الدين والكهنة والقائمين على أمر المعابد . كان الحكم كله لهم ، لأن هؤلاء كانوا هم المتكلمين بمنهج اللّه .

ولماذا لم يستمر هذا الأمر ، وجاءت القوانين الرومانية والإنجليزية

والفرنسية وغيرها ؟ لأنهم جربوا على القائمين بأمر الدين أنهم خرجوا عن نطاق التوجيه السماوي إلى خدمة أهوائهم ، فلاحظ الناس أن هؤلاء الكهنة يحكمون فى قضية بحكم ما يختلف عن حكم آخر فى قضية مشابهة . إنهم القضاة أنفسهم والقضايا متشابهة متماثلة ، لكن حكم الهوى يختلف من قضية إلى أخرى ، بل وقد يتناقض مع الحكم الأول ، فقال الناس عن هؤلاء الكهنة :

لقد خرجوا عن منطق الدين واتبعوا أهواءهم ، ليثبتوا لهم سلطة زمنية ، فنحن لم نعد نأمنهم على ذلك . وخرج التقنين والحكم من يد الكهنة ورجال الدين إلى غيرهم من رجال التقنين . لقد كان أمر القضاء بين الكهنة ورجال الدين ؛ لأن الناس افترضت فيهم أنهم يأخذون الأحكام من منهج اللَّه ، فلما تبين للناس أن الكهنة ورجال الدين لا يأخذون الحكم من منهج اللَّه ، ولكن من الهوى البشرى ، عند ذلك أخذ الناس زمام التقنين لأنفسهم بما يضمن لهم عدالة ما حتى ولو كانت قاصرة .

وبمناسبة كلمة الهوى نجد أن هناك ثلاثة ألفاظ :

أولاً : الهواء وهو ما بين السماء والأرض ، ويراد به الريح وهو الذى يحرك الأشياء ويميلها وجمعه : الأهوية وهذا أمر حسيّ .

ثانيًا : الهوَى : وهو ميل النفس ، وجمعه : الأهواء ، وهو مأخوذ من هَوِيَ يَهْوَى بمعنى مال .

ثالثًا : الهَوى : بفتح الهاء وضمها وتشديد الياء وهو السقوط مأخوذ من هَوَى يهْوِى : بمعنى سقط . وهذا يدل على أن الذى يتبع هواه لابد أن يسقط ، والاشتقاقات اللغوية تعطى هذه المعانى . إنها متلاقية .

إذن . . الراسخون فى العلم يقفون ثابتين عند منهج اللَّه . وأما الذين يتبعون أهواءهم فهم يميلون على حسب ميل الريح . فإذا الريح مالت : مالوا حيث تميل .

ويقول الراسخون فى العلم فى نهاية علمهم : آمنا ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وهنا تلتقي المسألة ، فنحن نعرف أن المحكم نزل للعمل به ، والمتشابه نزل للإيمان به لحكمة يريدها اللَّه سبحانه وتعالى ، وهى أن نأخذ الأمر من الآمر لا لحكمة الأمر . وعندما نأخذ الأوامر من الحق فلا نسأل عن علتها ؛ لأننا نأخذها عن خالق محب حكيم عادل . والإنسان إن لم ينفذ الأمر القادم من اللَّه إلا إذا علم علته وحكمته فإننا نقول لهذا الإنسان : أنت لا تؤمن باللَّه ولكنك تؤمن بالعلة والحكمة ، والمؤمن الحق هو من يؤمن بالأمر وإن لم يفهم .

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران : ٧] . المحكم من عند ربنا والمتشابه من عند ربنا .

obeikandl.com

مثل نور اللَّه

السؤال : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ نرجو توضيح ذلك ؟

الجواب : اللَّه سبحانه وتعالى يضرب لنا مثلاً لنوره ، هذا النور الإلهى الذى يضىء الدنيا والآخرة ، فيضىء القلوب المؤمنة ، إنه يريد أن يضرب لنا مثلاً لهذا النور بشىء مادى محس ، فيقول جل جلاله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

والمشكاة هى التجويف غير النافذ فى الحائط ونحن نضع المصباح فى هذا التجويف ، إذن . . فالمصباح ليس فى الحجرة كلها ، ولكن نوره مركز فى التجويف فيكون قويا فى هذا الحيز الضيق ، ولكن المصباح فى زجاجة ، تحفظه من الهواء من كل جانب ، فيكون الضوء أقوى ، صافيًا لا دخان فيه ، كما أن الزجاج يعكس الأشعة فيزيد تركيزه ، والزجاجة غير عادية ولكنها : ﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أى : هى مضيئة بذاتها وكأنها كوكب ، ووقودها ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ يملؤها النور ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أى : يملؤها النور من الوسط ويخرج صافيًا ، والزيت مضيء بذاته من دون أن تَمَسَّهُ النار ، فهى : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ ، أيكون جزء من هذه المشكاة ذات المساحة الصغيرة مظلمًا ؟ ، أم تكون كلها مليئة بالنور القوى ؟

وهذا ليس نور اللَّه تبارك وتعالى فهو سبحانه منزه عن التشبيه والوصف ، ولكنه مثل فقط للتقريب إلى الأذهان ، فكأن نور اللَّه يضيء كل ركن وكل بقعة . ولا يترك مكانًا مظلمًا ، فهو كما قال تعالى : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ .

openingdoor.com

قديما أراد أحد الشعراء أن يمدح الخليفة وكانت العادة أن يشبه الخليفة ، بالأشخاص البارزين ذوي الصفات الحسنة ، فقال :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

وكل هؤلاء الذين ضرب بهم الشاعر المثل كانوا مشهورين بهذه الصفات فعمرو كان مشهورًا بالإقدام والشجاعة ، وحاتم كان مشهورًا بالسماحة وأحنف يضرب به المثل فى الحلم ، وإياس شعلة فى الذكاء ، وهنا قام أحد الحاضرين وقال : الأمير أعظم من كل واحد ممن شبهته بهم ، فقال أبو تمام على الفور :

لا تنكروا ضَرْبي لَه مَنْ دُونَهُ مثلاً شَرُودًا فى النَّدَى والباسِ
فاللهُ قَدْ ضَربَ الأقلَّ لنِوره مثلاً من المِشكاةِ والنَّبْراسِ

فأعجب أحمد بن المعتصم والحاضرون من ذكائه وأمر بأن تضاعف جائزته .

واللَّه سبحانه وتعالى يضرب لنا المثل بما سيشهده المؤمنون فى الجنة ، فيقول جل جلاله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد : ١٥] .

هذه ليست الجنة ، ولكن هذا مثل يقرب اللَّه سبحانه وتعالى لنا به الصورة بأشياء موجودة فى حياتنا ، لأنه لا يمكن لعقول البشر أن تستوعب أكثر من هذا ، والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] ومن هنا فإنه لا توجد أسماء فى الحياة تعبر حقيقة عما فى الجنة .

واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

فإذا كانت النفس لا تعلم ، فلا توجد ألفاظ تعبر عما يوجد فى الجنة ، والتمثيل متى شاع استعماله بين الناس سمي مثلاً ، فأنت إذا رأيت شخصًا مغترا بقوته . . وتريد أن تفهمه أنك أقوى منه تقول له :

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى [٣٢٤٤] ، ومسلم [٢٨٢٤/ ٢] عن أبى هريرة .

إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا .

ولا توجد ريح ولا إعصار فيما يحدث بينكما ، وإنما المراد المعنى بدون التقيد بمدلول الألفاظ .

فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يعطينا صورة عما فى داخل قلوب المنافقين من اضطراب وذبذبة وتردد فى استقبال منهج اللّه .

obeikandl.com

معنى : الغرور

السؤال : ما الغرور ؟

الجواب : هناك « غُرور » - بضم الغين - ، و « غَرور » - بفتح الغين - والغُرور - بضم الغين - هو الشيء يُصور لك على أنه حقيقة وهو في الواقع وَهْم . والغَرور - بفتح الغين - هو من يفعل هذه العملية ، ولذلك فالغرور - بفتح الغين - هو الشيطان[1] ؛ لأنه يزيِّن للإنسان الأمر الوهمي ، ويؤثر مثلما يؤثر السراب ؛ فالإنسان حين يرى انكسار الأشعة يخيل إليه أنه يرى ماء ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور : ٣٩] .

وكذلك الغُرور ، حيث يزين الشيطان شيئًا للإنسان ويوهمه أنه سيستمتع به ، فإذا ما ذهب الإنسان إليه فلن يجد له حقيقة ، بل العكس ، ولذلك يفصِّل لنا الحق سبحانه أعمال الكفار فيقول عنها : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩] .

ويفاجأ الكافر بوجود اللَّه تعالى - الذى كان كافرًا به - ويصير أمام نكبتين :

الأولى : أنه كان ذاهبًا إلى ماء فلم يجده فيخيب أمله .

الثانية : أن يجد اللَّه الذى يحاسبه على الإنكار والكفر .

(١) وهو قول مجاهد رضى اللَّه تعالى عنه كما فى تفسير القرطبي [١٤ - سورة لقمان - آية : ٣٣] ، وكذا قال ابن السكيت وابن أبى حاتم كما عند القرطبي فى تفسير سورة فاطر آية [٥] وهو قول كثير من السلف كما فى تفسير ابن جرير الطبرى .

openkanar.com

نزول القرآن مُفَرَّقًا

السـؤال : ورد أن القرآن الكريم نزل مُفَرَّقًا ؛ فلماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة ؟

الجـواب : تساءل الكافرون : لماذا لم ينزل القرآن على محمد صلى اللَّه عليه وسلم جملة واحدة ، أى : لماذا لم ينزل مرة واحدة ؟

فيقول اللَّه سبحانه وتعالى ردا عليهم : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

أى : كذلك أنزلناه على الأمر الذى تنتقدونه ؛ وأنه نزل نجومًا ومفرقًا لنثبت به فؤادك يا محمد . لأن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم يتعرض لعناد ومواقف محرجة وتكذيب وسخرية واستهزاء ، فكان فى كل حالة من هذه الحالات يحتاج إلى تثبيت ، فكلما حدث معه شىء أهمه وأحزنه نزل عليه الوحى فأزال ما به من ضيق وألم . لكن لو نزل القرآن جملة واحدة لكان التثبيت حدث فى هذه المرة فقط ، ولكن استدامة الصلة بمن بعثه وأرسله وهو الحق سبحانه فيه دعم وتثبيت مستمر لعزيمته صلى اللَّه عليه وسلم .

﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ ﴾ أى : أنزلناه على أجزاء وذلك حتى يسهل حفظه على الصحابة والمسلمين . لأنهم كانوا لا يحفظون آية إلا إذا عملوا بها ، فنزول القرآن مفرقًا يسهل عليهم هذه المهمة حفظًا وعملاً . وأيضًا القرآن نزل ليثبت إلى أن تقوم الساعة ، فالنسخ الذى كان بين الكتب السابقة وبين بعضها يكون فى عصر القرآن نفسه ، فتأتى آية لتنسخ آية سابقة . لأن آيات القرآن كما قلنا إما عقائد وإما أحكام[١] .

---

(١) آيات القرآن وبشىء من التفصيل نقول : إنها شملت خمسة علوم هى :

١ - علم الأحكام : من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام من قسم العبادات=

العقائد لا هوادة فيها ولا تريث ، فلا توجد مرحليات فى العقائد .

إنما الأمور التى تتعلق بعادة الناس فى الفعل وعادة الناس فى الحركة ، وعادة الناس فى إلف العادة ، هذه لا ينفع معها قسرية الأحكام مثل العقائد ، ولكنها تحتاج إلى موالاة وتلطف ، وهذا ما عناه قول الحق سبحانه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

فكلمة ﴿ مُكْثٍ ﴾ تعنى : تمهل ، أى : أنزلناه رتلاً رتلاً ، وآية وراء آية . وذلك للرد على الكافرين حينما قالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

فرد الحق سبحانه وتعالى عليهم بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ .

أى : أنزلناه كذلك كما هو عليه منجمًا حسب الأحداث ، لنثبت به فؤاد الرسول صلى اللّه عليه وسلم وفيما يتعلق بالمؤمنين رتلناه ترتيلاً أي أنزلناه مجزأً حتى يسهل عليهم حفظه والعمل به .

وبعد ذلك قال الحق سبحانه : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] .

ولا يأتونك بشىء عجيب يستدركون به عليك إلا جئناك بالحق .

وإذا كان الكفار طلبوا أن ينزل القرآن جملة واحدة ، فلو حدث ما

= أو من قسم المعاملات أو من تدبير المنزل أو من السياسة المدنية ، وتفصيل هذا العلم منوط بذمة الفقيه .

٢ - علم المخاصمة والرد على الفرق الضالة الأربعة : من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين ، وتبيان هذا العلم منوط بذمة المتكلم أو عالم العقيدة .

٣ - علم التذكير بآلاء اللّه : من بيان خلق السموات والأرض وإلهام العباد ما ينبغى لهم ومن بيان صفات اللّه سبحانه الكاملة .

٤ - علم التذكير بأيام اللّه : يعنى بيان الوقائع التى أوجدها اللّه سبحانه وتعالى من جنس تنعيم المطيعين وتكذيب المجرمين .

٥ - علم التذكير بالموت وما بعده : من الحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار وحفظ تفاصيل العلوم الثلاثة الأخيرة وإلحاق الأحاديث والآثار المناسبة لها وظيفة المُذكر والواعظ . وصدق اللّه العظيم إذ يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ .

obeikandl.com

أرادوا ثم حدث منهم اعتراض أو استدراك على شيء من القرآن فكيف يكون الرد ؟

إذن . . فكان لابد من نزول القرآن منجمًا حسب الوقائع والأحداث حتى إذا طعنوا فى شيء أو طلبوا مطلبًا من الرسول صلى اللّه عليه وسلم أو سألوه سؤالاً ينزل القرآن ليرد عليهم ويكشف مزاعمهم وافتراءهم .

obeikandl.com

شفاء الطبيب

السؤال : هل الطبيب يشفى ؟ وهل يتعارض ذلك مع قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ؟

الجواب : القضية محسومة للّه وحده سبحانه وتعالى . وجاء الضمير أيضًا فى قول إبراهيم عليه السلام عندما قال : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٩] . جاء بلفظ ﴿ هُوَ ﴾ هنا أيضًا لأن هناك عملاً للإنسان فى نفسه مثل استخراج الطعام . وإيصال الماء إلى الناس .

ثم قال جل جلاله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠] وجاء بالضمير هنا كذلك حتى لا يدعي أحد أن الطبيب يشفى . والحقيقة غير ذلك تمامًا . فالطبيب يعالج . وإنما الذى يشفى هو اللّه سبحانه وتعالى . بل قد يكون الطبيب سببًا من أسباب قرب الأجل أو أسباب الموت . فلربما أعطى المريض دواءً خطأ . أو يحقنه بما يعتقد أنه سيشفيه . فيكون السبب فى موته ، ولذلك أكدها اللّه تعالى بضمير الفصل . . لأنه كما قلنا يأتى للتأكيد فقال : ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[1] .

ولكن عندما جاء إلى الموت والحياة . لم تكن هناك حاجة لاستعمال ضمير التأكيد فقال : ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : ٨١] لماذا ؟ لأن الموت والحياة للّه وحده لا يستطيع أحد أن يدعيهما .

---

(١) روى أحمد فى المسند [٦/١٠٨] عن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت : مرض رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فوضعت يدي على صدره فقلت : أذهب البأس رب الناس أنت الطبيب وأنت الشافى ، وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : ألحقني بالرفيق الأعلى . وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط البخارى .

اختلاف الألسنة والألوان

السؤال : ما دلالة اختلاف ألسنة البشر وألوانهم ؟

الجواب : يقول تعالى : ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم : ٢٢] .

هذا الاختلاف فى الألوان والألسنة والأشياء المتعددة يَدُل على أنها ليست من إنتاج مصنع يصنع قالبًا ثم يشكل عليه ، لا ؛ فكل إنسان يولد يصنع بيد قديرة قدرة ذاتية .

إن الصانع الآن إذا أردت أن يصنع لك كوبًا يصنع قالبًا ويكرره ، لكن فى الخلق البشري كل واحد له قالبه الخاص ، وكل واحد بشكله المخصوص ، وكل واحد بصوته الذى ثبت أن له بصمة كبصمة اليد ، وكل واحد بلون .

إذن . . فهي من الآيات ، وهذا دليل على طلاقة قدرة اللَّه تبارك وتعالى ، وفوق كل هذا هو الخلق الذى لا يحتاج إلى عملية علاج ، معنى عملية علاج أى : يجعل قالبًا واحدًا ليصب فيه مادته . لا ، هو جل شأنه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧] .

إن الأب والأم قد يتحدان فى اللون ولكن الابن قد ينشأ بلون مختلف ، ويخلق اللَّه معظم الناس خلقًا سويا ، ويخلق قلة من الناس خلقًا غير سوى ؛ فقد يولد طفل أعمى ، أو مصاب بعاهة ما ، أو بأصبع زائدة أو إصبعين ، وهذا الشذوذ أراده اللَّه فى الخلق ليلفتنا الحق إلى حسن وجمال خلقه . لأن من يرى إنسانًا آخر معوقًا عن الحركة فإنه يحمد اللَّه على كمال خلقه[١] .

---

(١) روى ابن أبى شيبة فى المصنف [٦/ ٩٣/ ٢٩٧٣٦] عن عبد اللَّه بن عمر عن أبيه رضى اللَّه تعالى عنهما قال : ما من رجل يرى مبتلى فيقول الحمد لله الذى عافاني مما إبتلاك به ، وفضلني عليك ، وعلى كثير من خلقه تفضيلا إلا عافاه اللَّه من ذلك البلاء كائنا ما كان .

obeikandl.com

وحين يرى إنسانٌ له فى كل يد خمس أصابع إنسانًا آخر له إصبع زائدة تعوق حركة يده ، يعْرف حكمة وجود الأصابع الخمس ، فالجمال لا يثبت إلا بوجود القبح ، وبضدها تتمايز الأشياء ، الإنسان الذى له سبع أصابع فى يد واحدة ، يضع الطب أمام مهمة يجند نفسه لها ؛ حتى يستطيع الطبيب أن يستأصل الزائد عن حاجة الإنسان الطبيعى . ولو خلق اللَّه الإنسان بثلاث أصابع مثلاً لما استطاع ذلك الإنسان أن يتحكم فى استعمال الأشياء الدقيقة .

إن الإنسان العادى فى حركته اليومية لا يدرك جمال استواء خلقه إلا إذا رأى فردًا من أفراد الشذوذ . والحق يلفت الناس الساهين عن نعم اللَّه عليهم لرتابتها فيهم بفقدها فى غيرهم . فساعة يرى مبصرٌ مكفوفًا يسير بعكاز ، يفطن إلى نعمة البصر التى وهبها له اللَّه فيشعر بنعمة اللَّه عليه .

إن الشذوذ فى الخلق هو نماذج إيضاحية تلفت الناس إلى نعم اللَّه التى أنعم اللَّه عليهم بها .

هذه المُثل فى الكون تلفت الناس إلى نعم اللَّه فيهم ، ولذلك تجدها أمامك ، وأيضًا كيلا تستدرك على خالقك ، ولا تقل مَا ذنب هذا الإنسان أن يكون مخلوقًا هكذا ؟ فهو سبحانه سيعوضه فى ناحية أخرى ؛ فقد يعطيه عبقرية تفوق إمكانات المبصر .

ونضرب هذا المثل - وللَّه المثل الأعلى - عن الذى ساح فى الدنيا « تيمور لنك الأعرج » وهو القائد الذى أذهل الدنيا بشجاعته ، إن اللَّه قد أعطاه موهبة التخطيط والقتال تعويضًا له عن العرج . ونحن نجد العبقريات تتفجر فى الشواذ غالبًا ، لماذا ؟ لأن اللَّه يجعل للعاجز عجزًا معينًا : همةً تحاول أن تعوض ما افتقده فى شىء آخر ، فيأتى النبوغ .

إذن . . فـ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٦] وكل تصوير له حكمة . وما دام كل تصوير له حكمة فكل خلق اللَّه جميل .

عليك ألّا تأخذ الخلق مفصولاً عن حكمة خالقه ، بل خُذ كل خلق مع حكمته . إن الذى يجعلك تقول : هذا قبيح ، أنك تفصل المخلوق عن حكمته ، ومثال ذلك : التلميذ الذى يرسب قد يحزن والده ، ولكن لماذا

يأخذ الرسوب بعيدًا عن حكمته ؟ لقد رسب حتى يتعلم معنى الجدية فى الاستذكار ، فلو نجح مع لعبه ماذا سيحدث ؟ كل أقرانه الذين عرفوا أنه لعب ونجح سيلعبون ويقولون : هذا لعب ونجح . . إذن فلابد أن تأخذ كل عمل ومعه حكمة وجوده .

كذلك لا تأخذ العقوبة منفصلة عن الجريمة ، فكل عقوبة علينا أن نأخذها ملتصقة بجريمتها ، فساعة ترى واحدًا مثلاً سيحكمون عليه بالإعدام تأخذك الرحمة به وتحزن ، هنا نقول لك : أنت فصلت إعدامه عن القتل الذى ارتكبه سابقًا ، إنما لو استحضرت جريمته لوجدته يُقتَلُ عدالة وقصاصًا فقد قَتَل غيره ظلمًا ، فلا تبعد هذه عن هذه .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ٦]

ومعنى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى : يُصَوِّرُ وهو عالم أن ما يصوِّره سيكون على هذه الصورة ؛ لأنه لا يوجد إله آخر يقول له : هذه لا تعجبني وسأصور صورة أخرى ، لا ؛ لأن الذى يفعل ذلك هو : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذى لا يُغلب على أمر ، وكل ما يريده يحدث وكل أمر عنده لحِكمة ، لأنه عندما يقول : ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ قد يقول أحدٌ من الناس : إن هناك صورًا شاذة وصورًا غير طبيعية . وهو سبحانه يقول لك : أنا : ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، وأفعلها لحكمة فلا تفصل الحدث عن حكمته ، خُذ الحدث بحكمته ، وإذا أردت الحدث بحكمته تجده الجمال بعينه .

obeikandl.com

المعروف والمودة

السؤال : ما الفرق بين المعروف والمودة ؟

الجواب : يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] وكلمة : « المعروف » أوسع دائرة من كلمة المودة ؛ فالمودة هي أنك تحسن لمن عندك ودٌّ له وترتاح نفسك له ، لأنك فرح به وبوجوده ، لكن المعروف قد تبذله وأنت كاره ، وهذه حلت لنا إشكالات كثيرة ، عندما أراد المستشرقون أن يبحثوا في القرآن ليجدوا شيئًا يدعون به أن في القرآن تعارضًا فيقولون : قرآنكم يقول : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

كيف لا يواد المؤمن ابنه أو أباه أو أحدًا من عشيرته لمجرد كفره ، والقرآن في آية أخرى من سورة لقمان يقول : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٥] .

شيء آخر : الود يكون عن حُبٍّ ، لكن المعروف ليس ضروريًا أن يكون عن حُبّ ؛ فساعة يكون جوعان سأعطيه ليأكل وألبى احتياجاته المادية ، هذا هو المعروف ، إنما الوُدّ هو أن أعمل لإرضاء نفسي ، وساعة يعطف الرجل المؤمن على أبيه الكافر لا يعطف عليه نتيجة للودٍّ ، إنما هو يعطف عليه نتيجة للمعروف ؛ لأنه حتى لو كان كافرًا سيعطيه بالمعروف .

ألم يعاتب الحق سبحانه إبراهيم عليه السلام في ضيف جاء له فلم يكرمه لأنه سأله وعرف منه أنه غير مؤمن لذلك لم يضيّفه ؟ فقال له ربنا

سبحانه وتعالى : أمن أجل ليلة تستقبله فيها تريد أن تغير دينه ، بينما أنا أرزقه أربعين سنة وهو كافر ؟ فماذا فعل سيدنا إبراهيم ؟ جرى فلحق بالرجل ، وناداه فقال له الرجل : ما الذى جعلك تتغير هذا التغيُّر المفاجئ ؟ فقال له إبراهيم : « واللَّه إن ربي عاتبني لأنِّى صنعت معك هذا » . فقال له الرجل : أربُكَ عاتبك - وأنت رسوله - فِيَّ وأنا كافر به ؟ فنعم الرب ربٌّ يعاتب أحبابه فى أعدائه ، وأسلم الرجل للَّه رب العالمين .

هذا هو المعروف ، والحق سبحانه يأمرنا أن ننتبه إلى هذه المسائل فى أثناء الحياة الزوجية ، وهذه قضية يجب أن يتنبه لها المسلمون جميعًا كيلا يُخربوا البيوت ، إنهم يريدون أن يبنوا البيوت على المودة والحب فلو لم تكن المودة والحب فى البيت لخَرِبَ البيت ، نقول لهم : لا ، بل ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ حتى لو لم تحبوهن ، وقد يكون السبب الوحيد أنك تكره المرأة لأن شكلها لا يثير غرائزك ، يا هذا أنت لم تفهم عن اللَّه ؛ ليس المفترض فى المرأة أن تثير غرائزك ، ولكن المفترض فى المرأة أن تكون مصرفًا ، إن هاجت غريزتك كيماويا بطبيعتها وجدت لها مصرفًا ، فأنت لا تحتاج لواحدة تغريك لتحرك فيك الغريزة ؛ ولذلك قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله فإن البضع واحد ومعها مثل الذى معها »[1] .

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير عن عمر رضى اللَّه تعالى عنه وضعفه الألبانى [٤٩٦] . وفى صحيح الجامع [٥٥٢] ما يغنى عنه فى المعنى : فعن جابر رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « إذا رأى أحدكم المرأة التى تعجبه فليرجع أهله حتى يقع بهم فإن ذلك معهم » .

obeikandi.com

القرآن .. والعلم

السؤال : **هل هناك تصادم بين قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ وبين العلم الحديث ، حيث يمكن الآن معرفة ما فى الرحم من ذكر أو أنثى ؟**

الجواب : ﴿ مَا ﴾ عامة فى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤] .

كذلك مثلاً قول اللَّه سبحانه وتعالى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ يأتى إنسان ليقول إن معنى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ أن اللَّه يعلم هل الطفل الذى فى بطن أمه ذكر أو أنثى ، فإذا جاء فى نشاط العلم أنهم يستطيعون بطريقة ما أن يعرفوا قبل ولادة المولود بفترة إذا كان ذكرًا أو أنثى ، يقول بعض الناس إن ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ قد خرجت عن المغيبات الخمس التى اختص اللَّه سبحانه وتعالى بها علمه ، وتحدى بها البشر أجمعين[1] ، ويبدأ هنا الجدل .

ولكن السؤال الذى كان يجب أن يوجه إلى قائل هذا الكلام هو : من الذى أخبرك أن معرفة نوع الجنين إذا كان ذكرًا أو أنثى هو معنى الآية الكريمة ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ من الذى حصر كلمة : ﴿ مَا ﴾ فى ذكر أو أنثى ؟ وهى مطلقة على العموم ، إنك ادعيت أن : ﴿ مَا ﴾ هي ذكر أو أنثى ، وقلت : إنها الحقيقة القرآنية ، نقول لك إن مدلول : ﴿ مَا ﴾ أكثر من ذلك كثيرًا ، ذكر أو أنثى حقيقة ، وطويل أو قصير حقيقة أخرى ، وأسمر أو أبيض أو أشقر حقيقة ثالثة ، وسعيد أو شقي حقيقة رابعة ، وذكي أو غبي حقيقة خامسة ، وكم سيبقى فى الحياة ؟ وما عمره ؟ حقيقة سادسة ، وفى أي بقعة من الأرض سيموت ؟ حقيقة سابعة ؟ وأستطيع أن أمضي إلى

---

(١) المغيبات الخمس هي التى فى غيب اللَّه والتى ذكرها فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان] .

مئات ، بل وألوف الحقائق التى عبر اللّه سبحانه وتعالى عنها بكلمة : ﴿ مَا ﴾ فى الآية الكريمة : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ .

إذن . . فالتصادم لا يحدث بين حقائق الكون والقرآن وإذا كان هناك تصادم ، فإنه يوجد عندما ندعي حقيقة علمية فى الكون ، وهى ليست حقيقة علمية ، أو ندعي حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية . لا يمكن أن يتصادم القرآن أبدًا بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة ، لأن قائل القرآن هو اللّه والفاعل هو اللّه .

obeikandl.com

مقدار اليوم

السؤال : ما مقدار اليوم عند الله عز وجل ؟

الجواب : فرق بين أن نقول : أنا صنعت هذا القرص من الجبن فى ست ساعات ، ولكنك جئت بالأدوات : اللبن والخميرة ووضعتهما فى لحظة ثم تركته لتفاعله الكونى .

إذن . . فكأن الحق لم يباشر الخلق فى هذه المدة وإنما أودع فى كل شىء خصائصه وتركه يتفاعل بفعل الزمن كما يخلق الجنين فى بطن أمه فى تسعة أشهر ، أودع الخصائص الخاصة فى الجو المناسب ، وبعد ذلك أخذت تتفاعل . وعلى ذلك فالله تعالى لم يخلقنا فى تسعة أشهر إنما خلقنا بـ : ﴿ كُن ﴾ فكأن الحق حينما قال : خلق السموات والأرض فى ستة أيام ليس معنى ذلك أن الستة أيام الظرف كله علاج للحدث ؛ لأن معنى أن يكون الظرف علاجًا للحدث أن كل جزئية من الحدث تقابل جزئية من الزمان ، وهذا هو العلاج والله يخلقها بدون علاج ، الله يخلقها بـ ﴿ كُن ﴾ فكأن عناصر السماء أو عناصر الأرض الله يضع فيها الأشياء أو الأسرار الفعالة ، فيها ثم يتركها تأخذ تفاعلها وكذلك حينما يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ يعني كل يوم ١٢ ساعة ؟ كل نهار ؟ إنه فى شأن دائمًا قيوم ، لا يمكن أن يترك خلقه بلا قيومية لحظة واحدة ، ولذلك لما سئل العلماء هذا السؤال ؟ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ . ما شأن ذلك الآن ، وقد صح أن القلم قد جف ؟ كل شىء انتهى ؟ قالوا : أمور يبديها ولا يبتديها . . فرق بين الإبداء والابتداء . . الابتداء معالجة خلقه . أما الإبداء فهو الظهور ، وإذا جئنا بعد ما تقدم العلم ، وعرفنا مثلاً الفلكيات ، وعرفنا وضع الأرض مع المجموعة الشمسية ، وعرفنا حقيقة دورانها حول نفسها وحول كذا ، وحول كذا ؛ لعلمنا أن كلمة يوم بالنسبة للحق كل لحظة ؛

لماذا ؟ لأنه إذا كان اليوم فى تحديدكم الفرق بين طلوع الشمس وغروبها ، فالشمس دائمًا طالعة غاربة ، إذن ففى كل لحظة ينتهي يوم ويبدأ يوم وينتهي يوم .

إذن . . عندما يقول : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ والمراد بيوم الآن . يعني كل يوم هو فى شأن . لماذا ؟ لأني أفرض مثلاً أن هذا اليوم يبتدئ من الخامسة صباحًا إلى الخامسة مساء ، خامسة ودقيقة يبتدئ يوم ثان ، وينتهي خامسة ودقيقة وقسم الدقيقة إلى ثوان وهكذا ، إذن فكلمة يوم مدلولها موجود فى كل لحظة فحين يقول : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ يعني كل آن قيومته دائمة .

لا ينتهي الأذان للّه ولا ثانية من الحياة ، كل لفظ فى الأذان لا ينتهي وكل فعل فى العبادات لا ينتهى ، يعني يقول المؤذن فى مكان « اللّه أكبر » للفجر ، يكون هناك مؤذن يقول : « اللّه أكبر » الثانية ، ومؤذن فى ذلك الوقت يقول : « أشهد ألا إله إلا اللّه » ومؤذن غيره يقول : « أشهد أن محمدًا رسول اللّه » إذن فالأذان ، والعبادات موصولة دائمًا لا تنقطع ، فاللّه مهتوف به : اللّه أكبر اللّه أكبر . فى كل لحظة من لحظات النهار والليل ، وكل عبادة من العبادات يصلى للّه بها ، فحين تصلى الفجر هنا يكون أناس يصلون الظهر ، وأناس يصلون العصر ، وغيرهم يصلون المغرب ، وآخرون يصلون العشاء فى أماكن أخرى .

ولذلك بعض العارفين يقول : يا زمن وفيك كل الزمن . . إذن فقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] أليس هو مالك الأمور أيضًا غير يوم الدين ؟ قال ولكن لما كان للملك وللمالك صورة ظاهرية فى كون اللّه . . بمعنى أننا نرى شخصًا نسميه ملكًا ، ونرى آخر ونسميه مالكًا فى ظواهر الأمور . إذن فالأمور إن كان لها ظاهر وباطن الآن ، فلبعض الناس ملك صورى ، فإن فى الآخرة لا توجد حتى هذه الصور الظاهرية ، بل الأمر كله للّه . ولذلك تتخلى الأسباب عن البشر ، وما دامت تتخلى عن البشر ، فإذا كنا هنا نعيش بأسباب اللّه الممنوحة منه

ويبقى الملك ظاهرًا وباطنًا فما كان فى الخفاء يظهر فى القيامة ، ويبقى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ على الحقيقة ، وعلى كل شىء بحيث لا توجد صورة ظاهرة لمالك أو ملك .

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الدين هذا يطلق إطلاقات متعددة ، هذه الإطلاقات عندما تكلم العلماء عنها قالوا : الدين يطلق على الجزاء ، الجزاء على ماذا ؟ على الطاعة ، الطاعة لماذا ؟ لأمر اللَّه ، وما الذى يعبر عنه بأمر اللَّه ؟ هو المناهج والشريعة .

إذن . . فهناك جزاء على الطاعة ، طاعة لماذا ؟ لمنهج اللَّه .

إذن . . فهناك ثلاثة عناصر لها : الجزاء والطاعة والمنهج .

النفاق .. ومرضى القلوب

السؤال : **ما الفرق بين المنافق ومن فى قلبه مرض ولماذا فرق بينهما القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ ﴾ ؟ وما معنى المرجفون ؟**

الجواب : قال تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ ﴾ [الأحزاب : ٦٠] .

إذن .. فهم ثلاثة أصناف لأن الواو تقتضي المغايرة . فيقال : لا ، إن الثلاثة موجودة فى جنس المنافقين وهم من فى قلوبهم مرض وهم المرجفون فى المدينة .. ولماذا أتى بالمنافقين مرة ، ثم الذين فى قلوبهم مرض ، ثم المرجفين فى المدينة ؟ فأتى بهذا وحده وهذا وحده فكأن كل خصلة فيهم تكاد تستقل بذاتها ومع ذلك القرآن وصف المنافق بأن فى قلبه مرض .

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [البقرة] .

إذن .. ففى قلوبهم مرض فى هذه الآية جعلت عطف الواو ليس عطفًا لطائفة على طائفة والآية السابقة .

إذن .. فهذه هي تلك ولكن المغايرة فى المعنى .

والمرجف فى المدينة : ما معنى الإرجاف ؟ الإرجاف هو الهزة التى تهز الشيء وتزلزله .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾ [النازعات] .

إذن .. فالمرجفون هم الذين يزلزلون الشيء الثابت . فكيف يزلزلون ؟ يحاولون أن يعملوا هزة فى الكيان الإسلامى ، وكانوا قديمًا يعبرون تعبيرًا سياسيا يقولون « إن فلانًا طابور خامس » فما معنى هذا ؟

obeikandl.com

أى : يذيعوا أباطيل تضعف التيار المجمع على شىء ، ويشيعوا الأخبار السيئة ، فكذلك جماعة المنافقين واليهود يجلسون ويقولون : لقد اجتمعت قبائل كذا وكذا على أن يهاجموا المدينة ويمسكوا بمحمد صلى اللّه عليه وسلم ، وذلك حتى يهتز هؤلاء المسلمون الضعاف وهو كذب . هذه واحدة . ويقولون : ألم تعلم أن فلانًا ارتد والآخر أهله حبسوه وأخذوا يعذبونه . حتى إذا كان البعض يفكر فى الإسلام لا يقدم عليه . هذا هو المرجف . **فالمرجف هو الذى يمشى بالفتنة ليصرف أهل الحق عن حقهم بما يشيع من بهتان وأباطيل** . فهؤلاء ما جعلنا نصبر عليهم إلا العهد الذى بيننا وبينهم ونحن لا ننقض العهود وفى انتظار أن ينقضوه هم . ولذلك تجد قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٩] .

فالمرض فى قلوبهم حقا لكنهم أيظنون أن يظل هذا خافيًا عن رسول اللّه ؟ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ وقلنا لك : إنهم فلان وفلان وفلان ، لكنا سنجعلك تعرفهم فى لحن القول . أى : أنهم يحرفون القول عن غير معناه ؛ كما كان يفعل اليهود عليهم لعنة اللّه فكانوا مثلاً يعرفون أن تحية المسلمين لرسول اللّه السلام عليكم فيحرفون التحية قائلين : السام عليكم يا أبا القاسم والسام هو الموت[1] . وكانوا مثلاً فى كلمة : ﴿ رَٰعِنَا ﴾ أى : انظر إلينا فهم بعد تحريفهم يقولون للمسلمين « راعونا » يريدون أن يقولوا إن هذا من الرعونة . ثم يقولون فى أنفسهم ﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] .

والإسلام لم يأخذ المنافقين مرة واحدة بل عمل معاهدة معهم . ولما

---

(١) روى البخارى [٦٠٢٤] ، مسلم [٢١٦٥/ ١٠] عن عائشة رضى اللّه عنها زوج النبى صلى اللّه عليه وسلم قالت : دخل رهط من اليهود على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة : ففهمتها ؛ فقلت عليكم السام واللعنة ؛ قالت ؛ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : مهلا يا عائشة ؛ إن اللّه يحب الرفق فى الأمر كله فقلت يا رسول اللّه : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : قد قلت : وعليكم .

بلغ الرسول أنهم يتناجون بالإثم والعدوان فأتى بهم ونهاهم عن التناجى بالإثم والعدوان . . وبعد أن نهاهم يتناجون مرة أخرى .

قال اللّه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ [المجادلة : ٨] .

وقول الحق سبحانه : ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ ﴾ ، ما الإغراء ؟ الإغراء يقابله التحذير ، فالإغراء أن تحمل المخاطب على أمر محبوب يقال : يغريه بكذا ، يغريه بأن يفعل هذه ، وإن كان التحذير : فتحذره عن شىء مكروه ؛ والنحويون يسمونه : باب الإغراء والتحذير . ولنفرض مثلاً أننا جالسون فى مكان ورأى أحدنا ثعبانًا فيصيح « ثعبانًا » هذا هو التحذير ، « الأسد » تحذير ، « النجدة » لكن الإغراء أن تحبب إلى المخاطب فعلاً تحب أن يسارع إليه فمعنى قوله : ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أن نسلطك عليهم والإغراء لأمر محبوب وسيكون هذا الأمر محبوبًا لأنك رأيت من مكائدهم ما أفزعك وأقلقك . وجماعة المنافقين أغبياء ولذلك القرآن يعرضها عرضًا جميلاً ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة : ٦٤] .

فما داموا يحذرون وعرفوا أن اللّه ينزل كلامًا ويخافون منه فلماذا يفعلون هذا ، أليس هذا غباء ؟!

وأهمّ من هذا : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] لماذا لا يعذبنا اللّه بما نقول فى أنفسنا ؟ فهم يقولون فى أنفسهم فما الذى أعلم رسول اللّه بذلك ؟ اللّه هو الذى أعلمه .

إذن . . فما داموا يعرفون أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم موصول بربه وسيفضحهم فهل هم أغبياء أم لا ؟!

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٦٠] وما دمنا سنسلطك فأنتم ستصيرون إلى قوة تغرى بعدوها إلى أن ينجلى عن المدينة وقد كان .

﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠] .

فهل قليل منهم الذى يجاور أم مجاورة قليلة فى زمن قليل إلى أن يرتبوا لهم مكانًا كمهجر يذهبون إليه .

وقوله : ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦١] .

الملعون هو المطرود . أى : انكشفوا انكشافًا وسيطردون ولذلك طردهم رسول اللّه من المسجد . فقد كانوا من خبثهم يذهبون إلى الصلاة ويكونون فى أول الصفوف ، فالنبى يقول يا فلان يا فلان لأن اللّه قال : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ [محمد : ٣٠] .

﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ ﴾ أى : مطرودين ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ أى : أينما وجدوا لماذا ؟ لأن الذى ينافق فى بيئة ويُطبع على النفاق فيها لم تعد له طبيعة خالصة . فطبيعته ملوثة مسمومة فإن ذهب إلى مكان سيفعل مثلما فعل فيطرد . ولذلك لو نظرنا إلى الذين قطعهم اللّه فى الأرض أممًا . وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ ﴾ ، القطعة تعنى : صحيح تفرق من مجتمع . . وقطعة كل قطعة لها تماسك والذين يذهبون فى هذه البلاد ، هم اليهود ، ولهم أماكن مخصوصة لا يختلطون بغيرهم أبدًا ولذلك عندنا كانوا يسمونها « حارة اليهود » لماذا ؟ لأنهم لايذوبون فى أمة أبدًا ولذلك قَطَّعناهم فى الأرض أممًا لا أفرادًا أى : كل بلدة فيها جزء مجتمعون فيه . والتقطيع فى الأرض أممًا جعل كل أمة تكتشفهم فيما بعد . كما حدث لهم فى أوروبا وغيرها .

﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ أى : أينما وجدوا أخذوا أسرى ﴿ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ أى : اقتلوهم بعنف ، لأنهم عملوا فى الإسلام المصائب ، وربنا نصركم عليهم فلابد أن يكونوا عبرة لغيرهم ، ولذلك الحق سبحانه وتعالى يقول فى مثل هؤلاء : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

ما أدراك .. وما يدريك ؟

السؤال : ما الفرق بين : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ ؟

الجواب : قوله : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ نفي أن يوجد من أدرى فى الماضى ، ونفي أن يوجد من يدري فى الحال ، أو الاستقبال . . ولذلك قالوا : كل ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ فى القرآن لم يدره ، وكل : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ أدراه .

وإذا وجدت : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ يعنى : فى الماضى ، فلا مانع أن يدريك الآن ، إنما عندما يقول : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ فقد نفى أن يوجد من يدريه فى الحال أو فى الاستقبال ؟

ولذلك لم تأت إلا فى الساعة ، أو لم تأت إلا فى التزكية الغيبية .

يقول الحق تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] .

الاثنان فى أمر الساعة ، لأنه قال : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ وليس ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فإن نفى ما أدراك فى الماضى ، معناه : أنه لا مانع أن يوجد فى الحال من يدريك . ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ [عبس : ٣] والتزكية على اللّه ، لا توجد من أحد لأحد أبدًا ، ولذلك يقول الرسول صلى اللّه عليه وسلم : أنا لا أزكى على اللّه أحدًا[١] .

---

(١) روى البخارى [٦٠٦١] ومسلم [٣٠٠٠/٦٦] عن أبى بكرة عن أبيه رضى اللّه تعالى عنهما عن النبى صلى اللّه عليه وسلم : إنه ذكر عنده رجل فقال رجل : يا رسول اللّه ما من رجل بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أضل منه فى كذا وكذا ؛ فقال النبى صلى اللّه عليه وسلم : ويحك قطعت عنق صاحبك ؛ مرارا يقول ذلك ؛ ثم قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : إن كان أحدكم مادحا أخاه لا محالة فليقل : أحسب فلانا إن كان يرى أنه كذلك ؛ ولا أزكي على اللّه أحدا . واللفظ لمسلم ؛ وفى البخارى : « والله حسيبه » .

إذن .. فالثلاثة هؤلاء وردوا فى القرآن : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب :٦٣] ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰ ﴾ ووردت ، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ ثلاث عشرة مرة فى القرآن ، تبتدئ فى سورة الحاقة : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ [الحاقة] مثل ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ [القارعة] . طبق الأصل . وهذه واحدة .

وفى سورة المدثر يقول سبحانه : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ ﴾ [المدثر] هذه ثانية .

ثم يأتى فى سورة المرسلات : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ ﴾ ، ثم فى سورة الانفطار يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ أعلمه أم لم يعلمه ؟ وهكذا تواترت : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ فى آيات سورة المطففين : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ [٨] وفى سورة المطففين أيضًا : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ [المطففين : ١٩] وفى سورة البلد : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ [١٢] وفى سورة الطارق : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [٢] وفى سورة القدر : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ٢] .

obeikandl.com